

فوزى محمد أبو زيد
مدير عام بالتربية والتعليم بطنطا
ورئيس الجمعية العامة للدعوة إلى الله
بجمهورية مصر العربية

يليه رسالة

بعنوان التوفيق فى آداب الطريق
لابن عطاء الله السكندري

الطبعة الأولى

٢١ رجب ١٤٢٦ هـ
الموافق ٢٥ أغسطس ٢٠٠٥ م

الترقيم الدولي : 977-17-2556-4
رقم الإيداع : ١٦١٥٣ / ٢٠٠٥

طُبِعَ في

دار نوبار للطباعة


بسم الله الرحمن الرحيم

علامات التوفيق لأهل التحقيق

فوزي محمد أبو زيد

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، يلهم القلوب بالعمل المطلوب، والخير المرغوب ، الذي فيه رضاء علام الغيوب .

والصلاة والسلام على الحبيب المحبوب ، والكنز الموهوب من لدن علام الغيوب ؛ لكل عبد تخلَّص من العيوب ، ووفّى بالمطلوب ، سيدنا محمد حبيب القلوب ، وآله وصحبه أجمعين .

وبعد ،.....

استنبط أهل التحقيق ، والعلماء العاملون من أهل الطريق ، علامات ودلالات على صحة أحوال أهل الطريق ، إذا رآها السالك في نفسه ، أو العارف في وصله ، علمَ صحَّة قصده، وصدق سعيه ، وجميل صنعه ؛ فيما يتقرب به إلى ربه ﷻ ، فتثبت قدمه على الطريق ، ويستبشر بفضل الله ورحمته ، وتزول بالكلية حيرته ؛ والحيرة هي أخطر عقبة تواجه المريد السالك ، والمنتهي الواصل.

والحيرة حالة تنتاب العبد؛ تجعله شديد الاضطراب والقلق لما ينتابه من خواطر ، ويعتوره من هواجس :

۞ فتارة تغلب عليه الخواطر الرحمانية ؛فيفرح وينبسط بفضل الله وجوده وإكرامه.

۞ وآونة تغلب عليه الهواجس النفسانية ؛ فينقبض ، وتجتمع عليه الهموم ، وتسيطر عليه الأحزان والغموم ؛ لظنه أنه زلَّ عن الطريق ، أو ضلَّ السبيل ، أو أخطأ فعوقب ، أو هفا فعوتب .

والمخرج من ذلك كله :

أن يزن الإنسان نفسه ، ويقيس أحواله بالموازين القرآنية والأحوال السنية ، الواردة في كتاب الله ، والمبثوثة في سُنَّة رسول الله ﷺ ، والظاهرة في أحواله المفردة ﷺ ، والمتواترة في أحوال أصحابه الكرام ، ومن تبعهم في ذلك من أئمة السلف ، وخيار الخلف.

وقد ذكرنا هذه العلامات ، وأشرنا إلى هذه الدلالات بإيجاز ؛ لأن السالك في هذه الأحوال لا يحتاج إلى بسط وإطناب ، وإنما يكفيه لحصول المقصود الإشارات ، والتلويحات.

وقد سميناها :

((علامات التوفيق لأهل التحقيق))

لأنه لا يحتاج إليها إلا السالك المتحقق ، ولا يشعر بهـــا إلا مـــن يعاني ..!..أو يعاين هذه الأحوال...!...فالأمر كما قال القائل :

لا يعرف الشـــــوق إلا من يكابـــــده
ولا الصَّبَـــــابة إلا من يُعَانيــــــها

أسأل الله ﷻ أن يشمل بعنايته ووده ورحمته من كتبها ، وراجعها ، ومن نسّقها ، وخرَّج أحاديثها ، وكذلك من طبعها ونشرها ، أو ساهم في أي عمل في إخراجها.

كما أسأل عزَّ شأنه ، أن ينفع بها من قرأهـــا ، ويرزقـــه العمل بها ، ويفيض عليه من فوائدها وعلومها وأسرارها ؛ مـــا يجعله إماما للمتقين ، ونبراساً للواصلين.

وصلى الله على سيدنا محمد حجة الـــذاكرين، وقـــدوة الواصلين وآله وصحبه أجمعين.

في صباح يوم الجمعة : ١٧من جمادى الأولى ١٤٢٦هـــ ،
الموافق : ٢٤من يونيه ٢٠٠٥م.

فـــوزي محمد أبو زيد

الجميزة ــــ غربيـــة

تلـــــــــيفون

٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩

فاكـــــــس

٠٢٠-٤٠-٥٣٤٤٤٦٠

الموقع على شبكة الإنترنـت

WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإليكتروني :

fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com

fawzyabuzeid@yahoo.com

الفَصْلُ الأَوَّلُ

الْحَيْرَة

الْـــحَـــيْرَة

۞ الحيرة موقف بين اليأس في الله ...والطمع في الله...، بين الرضـــا ....والخوف...، وبين التوكل ...والرجاء.....

يقول فيها أبو نصر السراج الطوسي رضـــي الله عنـــه في كتابه " اللمع " (صفحة ٤٢١) :

《 والحيرة بديهة ترد على قلوب العارفين ، عند تأملهم وحضورهم وتفكرهم ... تحجبهم عن التأمل والفكرة .

قال الواسطي رحمه الله :

" حيرة البديهة أجَلُّ من سكون التولى عن الحيرة ".

۞ و" التَّحَيُّر " :

منازلة تتولى قلوب العارفين بين اليأس والطمع في الوصول إلى مطلوبه ومقصوده ، لا تطمعهم في الوصول فيرتَجُـــوا ، ولا تؤيسهم عن الطلب فيستريحوا ، فعند ذلك يتحيرون .

وقد سُئِلَ بعضهم عن المعرفة ما هي ؟... فقال :

التَحَيَّر ، ثم الاتصال ، ثم الافتقار ، ثم الحَيرة. 》 انتهى .
ومعنى ذلك أن موقف التَحَيَّر ، يتبعه الرجاء ، ثم الوصـــول إلى المطلوب ، ثم يشعر المتحير مرة أخرى باحتياجه إلى الله وافتقاره

إليه ، فهو الربُّ الغني الصمد ، وهو العبد الناقص المحتاج ، وبدوام الطلب للقربة والوصل ، يقع مرة أخرى في الحيرة.

فالعارف إذن ...بين حيرة واتصال ...، وافتقار دائم .

والمعرفة توجب الحيرة والقلق . والعارف الحق يُمَيَّز بالحيرة والقلق ، وتظهر عليه الأحزان ، ويرى البعد في القرب مهما وصل واتصل .

قال القائل :

قد تحيَّرتُ فيك خذ بيدي ... يا دليلا لمن تحيَّر فيك

ولا شك أن الحيرة لا تنتاب إلا الصادقين في سلوكهم ، وسببها وموجبها :

- شدة محاسبتهم لأنفسهم .
- ويقظتهم الدائمة في مراقبة الله ﷻ .
- وتلهُّفهم الشديد في الوصول إلى مقامات الكمال ؛ وحصولهم على مواهب الكُمَّل من أولياء الله ﷻ .

ولذلك نجد الله ﷻ يخرجهم من حيرتهم ببشرى صادقة ؛ أو تلويحة من الحقائق رائقة ، أو بعبارة كاشفة من قلوب ذائقة ، أو بحكمة من أفئدة ألسنتها بالحق ناطقة .

۞ ومما يشير إلى ذلك سيدي عمر بن الفارض – رضي الله عنه – والذي كان يقول :

زدني بفــرط الحـــــب فيك تحـــيُّرا
وارحـــــم حشى بلظى هواك تســــعَّرَا

حيث يحكي عن نفسه فيقول:

" حصلت منّي هفوة ؛ فوجدت مؤاخذة شديدة في باطني بسببها ، وانحصرت باطنا وظاهرا ؛ حتى كادت روحي تخرج من جسدي .

فخرجت هائما – كالهارب من أمر عظـــيم فعلـــه وهـــو مطالب به – ، فطلعت الجبل المقطم ، وقصدت مواطن سياحتي ، وأنا أبكي ، وأستغيث ، وأستغفر ، فلم ينفرج ما بي.

وقصدت مدينة مصر ، ودخلت جامع عمرو بن العاص ، ووقفت في صحن الجامع خائفاً مـــذعوراً ، وجـــددت البكـــاء والتضرع والاستغفار ، فلم ينفرج ما بي ؛ فغلب علـــي حـــال مزعج لم أجد مثله ؛ فصرخت وقلت :

من ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط

فسمعت قائلا يقول من بين السماء والأرض ، أسمع صوته ، وأرى شخصه :

محمـــــد الهادي الذي ... عليه جبريـــل هبـــط

وكذلك لما حج الشيخ شهاب الدين السهروردى – شيخ الصوفية في زمانه بالعراق – ، وكان ذلـــك ســـنة ثمـــان وعشرين وستمائة. وكانت وقفة عرفة يوم جمعة .

حج معه خلق كثير من أهل العراق ، فرأى كثرة ازدحام الناس عليه في الطواف بالبيت والوقوف بعرفـــة ، وإقتـــدائهم بأقواله وأفعاله ، وبلغه أن الشيخ ابن الفارض – رضي الله عنه – في الحـــرم ؛ فاشتاق إلى رؤيته ، وبكى ، وقال في سره :

يا ترى ! هل أنا عند الله كـــما يظن هؤلاء القوم فيّ ؟ !

ويا ترى ! هل ذُكرت في حضرة المحبوب في هذا اليوم ؟ !

فظهر له الشيخ ابن الفارض رضي الله عنه وقال له :

يا سهروردى !....

لك البشارة فاخلع ما عليك فقـــــــــد...
ذُكِرتَ ثَمَّ على ما فيـــــــــكَ من عِوَجِ

فصرخ الشيخ شهاب الدين ، وخلع كل ما كان عليـــه ، وخلع المشايخ والقوم الحاضرون كل ما كان عليهم ، وطلـــب الشيخ فلم يجده ، فقال : هذا إخبار من كان في الحضرة .

ثم اجتمعا بعد ذلك اليوم في الحرم الشريف ، واعتنقـــا ، وتحدثا سرا زمانا.

۞ ولعل من أعجب ذلك ...:

ما حدّث به برهان الدين إبراهيم الجعبري أحد الـــصوفية المعاصرين لابن الفارض ، والذين اتصلوا بـــه ، ولكـــن هـــذا الاتصال كان في اللحظات الأخيرة من حياة ابن الفارض ، وهي اللحظات التي أدركه فيها الجعبري وهو يحتضر ، حيث يقول :

﴿﴿ كنت في السياحة بجعبر بالفرات ، وأنا أخاطب روحي بروحي ، وأناجيها بتلذذي بفنائي في المحبة ، فمر بي رجل كالبرق ، وهو يقول :

فلم تـــهْوَنـــي مـــالم تكن في فانيـــا
ولم تفْنَ مـــالم تجْـــتلِ فيـــك صورتي

فعلمت أن هذا نَفَس محبٍ ؛ فوثبت إلى الرجل ، وتعلقت به ، وقلت له :

من أين لك هذا النفس ؟!!...فقال :

هذا نفس أخي الشيخ شرف الدين ابن الفارض. فقلت له : وأين هذا الرجل ؟....فقال :

كنت أجدُ نفَسَهُ من جانب الحجاز ، والآن أجدُ نفسه من جانب مصر ، وهو محتضرٌ ، وقد أمِرْتُ بالتوجـــه إليـــه ، وأن أحضر انتقاله إلى الله تعالى ، وأصليَ عليه ، وأنا ذاهب إليه.

فلما التفتَ الرجل إلى جانب مصر التَفَتُ معه ؛ فشممت أثر الرجل ؛ فتبعت أثر الرائحة ؛ إلى أن دخلتُ عليه في ذلـــك الوقت ...وهو محتضرٌ..، .. فقلت له :

السلام عليك ورحمة الله وبركاته . فقال :

وعليك السلام يا إبراهيم ! ، اجلس ، وأبشر ، فأنت من أولياء الله تعالى ، فقلت له :

يا سيدي !..هذه البشرى جاءتني من الله على لســـانك ، وأريد أن أسمع منك دليلا ؛ ليطمئن به قلبي ، فإن اسمي إبراهيم ولي من سر مقام هذا الاسم الإبراهيمي نصيب حين قال : "رب أرني كيف تحيي الموتى؟ قال أولم تؤمن ؟ قال بلى، ولكن ليطمئن قلبي " ، قال:

نعم يا إبراهيم ، سألت الله أن يحضر وفاتي وانتقالي إليـــه جماعة من أولياء الله ، وقد أتى بك أولهم ، فأنت منهم .

وكنت سألت جماعة من الأولياء عن مسألة ؛ فلم يجـــبني أحد عنها ، فسألته عنها ؛ فقلت له :

يا سيدي! هل أحاط أحد بالله علماً؟ فنظر إلى نظر معظِّم لى ؛ وقال :

نعم !..إذا حيَّطهم ! يحيطون يا إبراهيم ، وأنت منهم.

ثم رأيت الجنة قد تمثلت له ، فلما رآها ؛ قال :

آه!!، وصرخ صرخة عظيمة !، وبكى بكـــاء شـــديدا !، وتغير لونه !، وقال :

إن كـــــان منزلتي في الحب عندكـــــمُ
مـــــا قد رأيتُ فقد ضيَّعتُ أيــــامي
أمنيـــــةٌ ظفرتْ روحي بهـــــا زمنـــا
واليـــــوم أحسبُها أضغاثَ أحـــــلام

فقلت له:

يا سيدي! هذا مقام كريم. فقال :

يا إبراهيم ! رابعة العدوية تقول وهي امرأة : وعزتك مـــا عبدتك خوفاً من نارك ولا رغبة في جنتك، بل كرامة لوجهـــك الكريم ، ومحبة فيك ، وليس هذا المقام الذي كنـــت أطلبـــه ، وقضيت عمري في السلوك إليه .

ثم بعد ذلك سكن قلقه ، وتبسَّم ، وسلَّم عليَّ ، وودعني ، وقال :

احضر وفاتي وتجهيزي مع الجماعة ، وصلِّ عليَّ معهم ، واجلس عند قبري ثلاثة أيام بلياليهن ، ثم بعد ذلك توجه إلى بلادك .

ثم اشتغل عني بمخاطبة ومناجاة ؛ فسمعت قائلا يقول بين السماء والأرض، أسمع صوته ولا أرى شخصه :

يا عمر ! فما تروم ؟

فقال :

أرومُ وقد طال المدى منك نظرة
وكم من دماء دون مرماى طلت

ثم بعد ذلك تهلّل وجهه وتبسَّم ، وقضى نحبه فرحاً مسروراً.

وكنا عنده جماعة كثيرة ، فيهم من أعرفه من الأولياء ، وفيهم من لا أعرفه ، ومنهم الرجل الذي كان سبب المعرفة . وحضرت غسله وجنازته ، ولم أرَ في عمري جنازة أعظم منها ، وازدحم الناس على حمل نعشه ، ورأيت طيوراً بيضاً وخضراً ترفرف عليه ، وصلينا عليه عند قبره .»».

❁ والحكايات الواردة في هذا الأمر عن الصالحين كثيرة .

والقرآن يحكي عن السيدة مريم قولها :

﴿ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴾

[آية (٢٣) مريم]

وكذلك ورد عن الفاروق عمر رضي الله عنه ... أنه كان يقول :

يا ليتني كنت تبنة..! ،

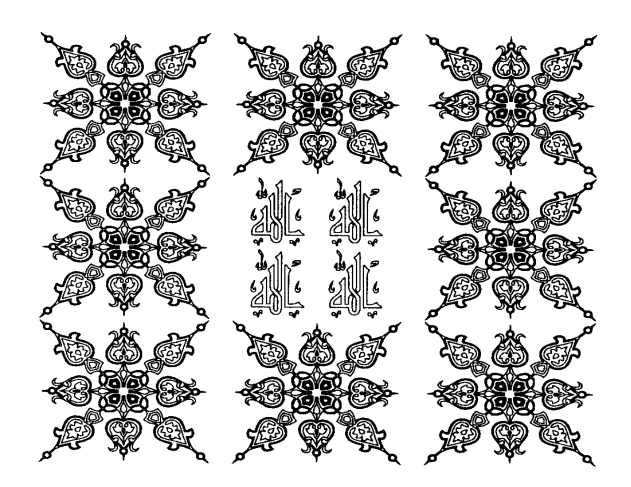
وأحياناً كان يقول :

يا ليتني كنت كبشا !! ، ذبحني أهلي وأكلوني..

....ونكتفي بهذا القدر رغبة في الاختصار ، .....

....والمؤمن يكفيه قليل الحكمة .





الفصل الثاني

علاماتُ التَّوفْيق في بِدَايات أحْوَال أهْلِ الطَّريق

- علامات التوفيق
- التوفيق
- العلامةُ الأولى : إلهام العبد ذكر الله
- بسم الله
- أذكارُ الصباح والمساء
- العلامةُ الثانيــة : الفقه في الدين

علاماتُ التَّوفيق (*)

دائما الإنسان السالك في طريق الله ﷻ يسأل نفسه :

- هل أنا على خير ؟
- وهل الله ﷻ راضٍ عني ؟
- وهل الحبيب ﷺ ينظرني ؟
- وهل الصالحون المقامون يقومون بإمدادي وإرشادي ؟

لأن السالك عنده قلق دائم في هذه النواحي ونلخصها في سؤال واحد هو :

متى أعلم يقيناً أن الله ﷻ يحبني؟

هذه الأسئلة لا تحتاج إلى اجتهاد عقلي في الإجابة عليها أو إلى تأويل وتفسير سفسطائي في الرد عليها . لكن يسأل الإنسان فيها ، حبيب الله ومصطفاه .

ومن إكرام الله ﷻ لهذه الأمة :

أنه ما من شيء سيحدث للأمم ، أو للأفراد ، أو للجماعات ، في شتى المناحي وفي اختلاف الأغراض ؛ إلا وقد

(*) كان هذا الدرس بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادي بالقاهرة ، يوم الخميس ٩ يونيه ٢٠٠٥م الموافق ٢ من جمادى الأولى ١٤٢٦هـ.

أحدثه الله في زمانه ؛ لينطق فيه بحكم الله ...مؤيَداً ببرهانه وقرآنه...

فلا توجد حاجةٌ ستحدث إلى آخر الزمان ؛ إلا وقد حصل شبيةٌ لها في عصر حضرة النبي ، وقضى فيها بحكم الله ﷻ حتى لا نزِل ولا نضل ولا نتحير ؛ ما دمنا نرجع إلى حضرته ، ونتناول من شهي سنته الحكم الذي قاله عن الله .

وإن كان هذا يحتاج إلى أولي الأمر، أو إلى أهل الإستنباط الذين يقول الله ﷻ فيهم :

﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ [(٨٣) النساء]

هل تتصور أنه في حجة رسول الله ﷺ حدث كل ما يمكن أن يتصوره العقل أو يتخيله الإدراك في الحج في أي زمان ومكان؟...على سبيل المثال :

الحج إما إفراد، أو قران، أو تمتع.

ألا تعلمون أن سيدنا رسول الله ﷺ أجرى الكل على ذاته الشريفة ؛ ولذلك اختلف الأئمة أيهم أفضل ؟

منهم من قال الإفراد ؛ لأن الرواية التي وصلته أن رسول الله أفرد بالحج ،ومنهم من قال القران ؛ لأن الرواية التي وصلته أنه قرن بالحج ، ومنهم من قال التمتع . فالكل رأى على قدره

في حضرة النبوة ، ما يلائم قدراته ، ويناسب أحواله في شريعة الحج .

حتى أنه وهو على عرفات ، مات واحد من المسلمين وهو محرم ؛ ليعلمنا كيف نفعل في من مات محرماً ؟ ماذا نفعل يا رسول الله؟..قال :

ادفنوه على هيئته .

فلو لم تحدث مثل هذه الحالة ؛ ماذا كنا نفعل؟

لكن كل شيء حدث في عصره وزمانه وأوانه ، وقضى فيه بحكم الله ﷻ صلى الله عليه و سلم .

وإن كان الحكم غاب عني ؛ فلا يغيب عن الرجال الذين يشاهدون أحوال الحضرة المحمدية كما يشاهد بعضنا بعضاً . فإن كان الاختلاف يأتي من جهة فهم الكلام ، فإنهم يعاينون حقيقة هذا الكلام ؛ ومن هنا ليس عندهم خلافٌ في فقه هذا الكلام.

كيف يتوضأ ؟ ...لماذا يختلفوا ؟!

لقد رأوه وهو يتوضأ ، المشهد موجود ، أعاد الله لهم المشهد ؛ فرأوه ؛ فتوضئوا كما رأوه .

وهؤلاء كما قال الإمام أبو العزائم – رضي الله عنه – :

" عشقتك كشفاً لا سماع رواية " !! فالعشق هنا كشف ؛ لأنه قد رأى ، وإن كان قد رأى على قدره ، وليس على قدر الحضرة المحمدية ؛ لأنها حضرة عليَّة ، لا يستطيع أحد من الأولين والآخرين أن يصل إلى ذرة من حقيقتها ؛ إلا بلطف يلطف به ربُّ العالمين ، ليستطيع أن يرى ذرَّة من أنوار سيد الأولين والآخرين ﷺ.

إذا كان جبريل ، لو صعد قدر أُنملةٍ بعد السدرة احترق – وهو نور – فماذا نفعل نحن ؟

فيلزم هنا لطف الله ؛ لكي يتمتع الإنسان على قدره بما يسمح به الله ، من حضرة حبيب الله ومصطفاه .

فنحن نسأل حضرة النبي في كل أمر .

التوفيق

وأغلى بضاعة في كتاب الله ، وعنـــد أنبيـــاء الله ، ورسل الله ، ولدى الصالحين من عباد الله... ماهي؟

هي قول الله جلّ في علاه :

﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الآية (٨٨) سورة هود]

التوفيق ! ، ولذلك لم يذكره الله إلا مرَّة واحدة ، وعلى لسان نبي ، لأنه بضاعة غالية .

فإذا شملك الله بالتوفيق ... تُــهْ على الزمـــان وأهلـــه ، واعلم أنك من أهل عنايته ، وأنه لا بد أن يتوجك بتاج ولايته ، وأنه سبقت لك الحسنى ، بأنك من أهل سعادته :

شمس العناية يـــا مريـــد جنابـــي
لك أشرقـــت وكتبت مـــن أحبابي
تـــه يا مرادي على الزمان وأهـــله
لمـــا كـــتبت مـــن أحبـــــابي

العلامة الأولى : إلهامُ العبدِ ذكرُ الله

وأكبر علامة من علامات التوفيق ، نسأل فيها النبي الشفيق ﷺ ، ما هي؟...قال :

{ إذا أحبَّ الله عبداً ألهمهُ ذكره }[١]

إذن فالذكر إلهام .

والذي يحبه الله ؛ يلهمه ذكره على الدوام . لأن المنافقين يذكرون ، ولكن كما ذكر الله ذلك في القرآن ، فقد قال في شأنهم :

﴿ لَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [سورة النساء]

فهل الذكر بهذه الكيفية علامة توفيق ؟

...... لا !

۞ ولكن علامة التوفيق :

۞ أن يذكر الله على الدوام .

۞ وأن يكون ذكره رغبة في القرب من الملك العلام ، وليس رياء ولا سمعة ولا شهرة .

---

(١) وفى رواية أخرى لإبن أبى الدنيا و البيهقى : " أكثروا ذكر الله على كل حال ، فإنه ليس عمل أحب إلى الله ، و لا أنجى لعبده من ذكر الله تعالى فى الدنيا و الآخرة " .

وهذا هو ذكر القلب ، وليس ذكر اللسان ؛ لأنه إلهام .

۞ ما الذي يتلقى الإلهام : اللسان ؟ أم القلب ؟

.......القلب.

۞ فأكبر علامة على التوفيق :

أن يلهم الله ﷻ العبد دوام ذكر الله.

۞ وهل من يقعد في جبل ! ، أو في خلوة ! ، ويمسك بمسبحة ألفية ، ويذكر الله على الدوام !..يكون ذلك علامة على حبِّ الله له ؟

نعم ! هذا الذكر علامة حبِّ الله ؛.ولكن على قدره .! ولكن هناك حبٌّ أعظم ! ، وحبٌّ أكرم ! ،...ما علامته.؟

أن يذكر الله على منهج حبيب الله ومصطفاه . والحبيب لم يقعد في جبل ...، ولم يترك العمل والأهل ....!

۞ فكيف كان يذكر الله إذن..؟

قالت السيدة عائشة :

كان يذكر الله على كل أحيانه ....:
فلكل لحظة ذكرها ، ولكل حالة ذكرها ، ولكل نازلة ذكرها .

والتقي النقي ....الذي يذكر في كل حالة بما يلائمها من بحر النبوة .

۞ ونحن نتكلم عن " علامات التوفيق في بدايات أهل التحقيق " ، أو " لمن بدء سلوك الطريق "...تكون علامة أنه ماشي صح في البداية . لكن علامات التوفيق لأهل التحقيق ، بحرٌ لو تكلم فيه أي إنسان فهو غريق ؛ لأنه يستلزم " ذق تعرف " .

۞ لكن لأهل البداية :

فسيدنا رسول الله كان من لحظة قيامه من النوم ، إلى أن يخلد إلى النوم ....يذكر الله ..!!

ولكن كيف كان يذكر الله؟

أيقول : يا ودود – مائة ألف مرة – ؟

أو : يا لطيف ؟

أيذكر الله بثلاثة عشر إسما ..؟...أم بسبع أسماء ..؟...أم بخمس أسماء..؟

لا هذا ولا ذاك ، ولكن كل حالة لها ذكرها .

فساعة صحوه من النوم كان يقول:

" الحمد لله الذي أحيانا بعد مماتنا وإليه النشور " .

وهذا هو ذكر هذه الحالة ، والموَّفق في بدايته ؛ لا يعـــدل عن هذا الذكر ، والموفق في نهايته ؛ لا يترك هذا الذكر .

❁ وكيف يذكر؟

بصوت عالٍ يسمع من حوله لكي يتعلموا.

❁ ما الذي ضيَّع أولادنا ، وبناتنا ، ونسائنا ؟

أن الذي يذكر فينا ...، يذكر في سره ...!!

فماذا سمعت ؟ وممن ستتعلم ؟

لكن الأئمة الأعلام قالوا : أن الحبيب كان يذكر بصوت عالٍ ليُسْمِعَ كل من حوله ، حتى عند صلاته كان وهو راكـــع يسبِّح بصوت لكي يعرف ويسمع من خلفه ، وهو ساجد أيضا ، كذلك كانت الدعوات التي يدعوها ؛ يدعوها بصوت مسموع لكي يسمع من خلفه ما يقول .

ولو كان يذكر في سره وفي نفسه هـــل كنـــا ســـنعرف هـــذه الأذكار؟!

فلو أن زوجتي جاهلة ، ورددت بجوارها هذه الأذكـــار ؛ لحفظتها خلال شهر واحد فقط – من غير قراءة ولا كتابة – ، وأولادي نفس النظام ، ولكننا غير مهتمين بهذا الأمر ، حتى لـــو قال الواحد منا ذكرا معيناً فإنه يقوله مرةً ، وينساه عشر مرات .

ولكن سيدنا رسول الله لم يكن كذلك ، فقد كان لكل مناسبة عنده ذكر خاص .

فعندما كان يخرج للخلاء ماذا كان يعمل؟

لازم يذكر.

بسم الله

إن عكاز المسلم ، والمؤمن ، والمحسن ، والموقن ، وكل من قال لا إله إلا الله هو : " بسم الله " .

فيا حبذا لو عوّدنا من حولنا على ذلك :

كلما أمسك أي شيء يقول بسم الله ، وكلما رفع أي شيء يقول بسم الله ، وكلما يكتب حاجة يقول بسم الله .

كيف نعلمهم ؟

بالحال !..فلو قلت له قل بسم الله ؛ فربما لا يقولها . لكنه عندما يراني ويسمعني عند كل شيء أقول بسم الله ، بسم الله ؛

سيتعلم ، وسيقلدني ؛ لأن الأولاد يتعلمون بالمحاكاة ، والمشابهة ، والمشاكلة ، ويحاول كل طفل أن يقلد الأكبر منه في ذلك .

فعند الطعام ، قل : بسم الله ؛ يكن في الطعام بركة .

وكذا الماء ، عند نزوله من الحنفية ، قل : بسم الله ؛ فإن بسم الله فيها شفاءٌ وبركة .

أي عمل سأعمله أنا ، أو زوجتي ، أو عيالي ، أقول قبلـــه بسم الله ؛ يكون فيه البركة . والنبي ﷺ قال :

{ كل شيء لا يبدأ فيه ببسم الله ؛ فهو أبتر }[٢]

وأبتر يعني ناقص البركة ...!!، حتى لو أنني غير حـــافظ للأذكار ؛ ألن أقدر على قول بسم الله ؟..!!

۞ إذا كان الرحمن الرحيم جعل افتتاح كل سورة مـــن سوره بـــ " بسم الله الرحمن الرحيم " ، وحتى سورة الحـــرب ؛ اقتضى الأمر ألا تبدأ ببسم الله ؛ فعوض هذه البسملة في ســـورة أخرى ؛ لكي يكون عدد البسملة في كتاب الله ، كعدد ســـور كتاب الله مائة وأربعة عشرة . أليس كذلك يا إخواني ؟

إنه يعلمنا ..!!..وهل كلام الله ﷻ .....يجب أن يبدأ ببسم الله ؟

---

(٢) رواه ابن ماجة وابن حبان وأبي داود عن أبي هريرة.

ولكن ليعودنا !!

فبسم الله ، ثم .. " اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث "، وآداب قضاء الحاجة الشرعية .

ثم عند خروجه من الخلاء ..." غفرانك ، الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني " ، وهذا هو ذكر هذه المناسبة ، فهل هناك ذكر آخر ...يسد مقام هذا الذكر..؟

لا..!

ويتوضأ ... يقول ﷺ :

{إذا نام ابن آدم عقد الشيطان على قافيته ثلاث عقد وقال له عليك ليل طويل فارقد ، فإذا قام فذكر الله حلت عقدة ، كيف ذكر الله؟ بالذكر الذي ردده رسول الله .. **فإذا توضأ حلت الثانية ، فإذا صلى حلت جميع عقده ، وأصبح طوال يومه نشيط البدن غير كسلان ؛ وإلا أصبح طوال يومه خبيث النفس كسلان}** [٣]

وذلك إذا نسى الروشته النبوية التي عملها خير البرية ﷺ ، يتوضأ ، ثم بعد الوضوء ينظر إلى السماء ويقرأ:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ

(٣) صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران]

إلى آخرها ، ويقول لمن حوله : " ويلٌ لمن قرأ هذه الآيات ولم يتفكر " ، وفي رواية : "ولم يتـــدبر " ، ويـــدعو الله عَجَّلَ ، ويصلي ما يفتح به الله سبحانه وتعالى ؛ عملا بقوله عزَّ شأنه :

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء]

- وهكذا ، قس على ذلك .

- عند خروجه من باب البيت لازم له ذكر .

- إذا كان ذاهبا للعمل ، أو زيارة ؛ يكون الذكـــــر العام : " بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم "

- وإذا كان ذاهبا إلى المسجد ؛ يزيد عليها :

" اللهم بحق السائلين عليك ، وبحق الراغبين إليك ، وبحق ممشاي هذا إليك ، فإني لم أخرج أشراً ، ولا بطراً ، ولا ريـــاء ، ولا سمعة ؛ إنما خرجت اتقاء سخطك ، وابتغاء مرضاتك ، فاغفر لي ذنوبي ؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ".

- سيدخل المسجد ؛ يدخل باليمين ، ثم يقول :

" بسم الله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، اللــــهم افتح لنا أبواب رحمتك ".

۞ عند الخروج من المسجد يخرج بالشمال ثم يقول :

" بسم الله ، اللهم افتح لنا أبواب فضلك ، اللهم قنا شر إبليس وجنوده " .

لماذا يا رسول الله ؟ ..يقول : إن إبليس وجنوده يقفـــون على أبواب المساجد ، فإذا خرجتم فقولوا :

" اللهم قنا شر إبليس وجنوده ؛ فإنهم ينصرفون عنكم ".

۞ وإذا دخل إلى بيته ؛ يلزم الذكر .

۞ ففي كل حركة وسكنه يفعلها المسلم ، دعـــاء وارد عن إمام الرسل والأنبياء ، بعض هذه الأدعية يا إخواني ، يعلموه لأولادنا في الروضة حاليا ...!..أليس كذلك؟

لكن كلها يتعلمها السالك في بداية سلوكه ، ويتحقق بها في كل حركاته وسكناته ، فلا يمشي ، ولا يذهب ، ولا يجيء ؛ إلا ولسانه ينطق بدعاء ورد عن سيد الرسل والأنبياء :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾

۞ حتى الأكل : له أدعية في البداية ، وفي النهاية .

۞ والشرب : له أدعية في البداية ، والنهاية .

۞ حتى النكاح : أليس له دعاء ؟ ومن الذي يدعو به ؟ هل الرجل ..! وفقط..؟

بل هو وهي ، ولذلك لازم يقول بصوت عـــالٍ ؛ لكـــي تتعلم ، وتقول أيضاً :

" بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان مـــا رزقتنا "

۞ كل هذه الأدعية لازم يقولها بصوت عالٍ ليسمع من حوله ؛ لكي يتعلموا منه .

۞ والإمام الشافعي – رضي الله عنه وأرضاه –كان من هديه في مذهبه المبارك : أن الإمام يجهر بنيته – مع أن النية محلها القلب – فيقول مثلاً : نويت أصلي العـــشاء لله تعـــالى أربعـــة ركعات حاضراً.. الله أكبر.، . لماذا؟

قال : ليتعلم الذي خلفه ؛ لأنه كان يرى في هذا الوقـــت أن معظم الناس أميون ، فكيف يتعلمون .

ولذلك كانوا يجهرون بختام الصلاة ..، لماذا ؟

قالوا : لكي يتعلم الناس . فكان أغلب العوام لا يحفظ آية الكرسي ، فيحفظها سماعاً من الإمام .

فكل شيء له ذكره ، مثلاً : سيؤذن ! ، لا بـد أن أؤذن أنا أيضا..! من الذي يؤذن يا إخواني ؟.. المؤذن ؟ أم كل المسلمين ؟..

بل كل المسلمين ، لأنه يؤذن ، وأنت تردِّد ،...إذن كـل المسلمين لحظة الآذان في آذان . ومن يتكلم أثناء الآذان ؟!

قالت السيدة عائشة في ذلك :

" كان ﷺ يحدثنا ونحدثه ، فإذا استمع إلى الآذان ؛ فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه " ، لماذا ؟

يردِّد الآذان أولاً.



أذكار الصباح والمساء

هناك أذكارٌ يا إخواني هي أذكار النوازل ، هنـــاك أيـــضاً أذكار الصباح والمساء.

ماذا يقول الإنسان بعد صلاة الصبح ، لكي يقيه الله من الآفات ؟ ويحفظه من الأمراض والعاهات ؟ ومن شر طوارق الإنس والجن.! ؟

كل حاجة في الروشتة النبوية موجودة وكاملة :

الأدعية التي بعد صلاة الصبح ، ومثلها بعـــد صـــــلاة المغرب ، بعد الصبح يقول : " أصبحت " ، وبعد المغرب يقول : " أمسيت " ، أو إذا كانوا جمـــاعة يقولون : " أصـــبحنا " ، أو " أمسينا " .

هذه هي الأساس الأول الذي عليه المعوِّل لمن يريـــد الفتح ، لكن أترك هذه الأدعية والأذكار ، وأمـــسك الـــسبحة وأقول : " يا لطيف " مائة ألف مرة ، هل أنا اهتديت بالـــسيد الأعظم عبد الله اللطيف ؟ واقتديت به ؟ لكـــي يفـــتح علـــيَّ اللطيف..؟!! بمجرد أن أنادي ..!!..يفتح لي ؟

لا...!

لأن مفتاح الفتح : هو الإقتداء بسيد الرسل والأنبياء ، ليس بالكلام ، ولكن بالإقتداء ! ، فهو سر الفتح ، ولذلك عندما قالت السيدة عائشة : " كان يذكر الله على كل أحيانه.."،... كيف ؟

بهذه الأذكار !. لأنه إذا قيلت هذه الأذكار في أوقاتها ، هل سيكون هناك وقت فراغ عند الإنسان ؟ لا ...!

❁ لأنه سينظر : إذا نظر لابنه ، أو ابنته ، أو نظر لأكل ، أو شرب في البيت ، ...سيقول :

" بسم الله ، ماشاء الله ، لا قوة إلا بالله " ، وكانت على لسان رسول الله على الدوام ، وإذا قالها الإنسان فقد حرَّز من رآه ، أو من ينظر إليه ببسم الله جلّ في علاه .

ولذلك يقع المسلمون في بعضهم الآن ، يقول أحدهم نظر فلان لابني ؛ وحصل له كذا ...وهو محقّ !!..، لماذا ؟ ..لأن فلان هذا نظر ، وقد لا يقصد الحسد ، ولكن لم يحرِّز أخاه بـ" بسم الله ، ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله " ، فلو تأسينا برسول الله ؟ هل سيكون هناك حسد موجود بيننا ؟

لا..، ولذلك قال الإمام أبو العزائم في كتاب النور المبين :

((قد يصل العبد إلى حالة من الإيمان ؛ لا يؤثر فيه السحر ولا الحسد)) ، لأنه يحرِّز نفسه .

فمن الجائز أن يكون الذي يحسد.. هو أنت ..!كيـــف..؟ سوف تنظر لشيء عندك ويعجبك .!..ولم تحرِّزه !!؛ فيحـــدث التأثير من القوى الغيبية للقوى الظاهريـــة ، بـــأمر لا يـــستطيع الإنسان بيانه ، لكن يستطيع عيانه – إذا كشف الله له حالــه – فتأثير النفوس غريب !! ، ولا يقدر أحدٌ على رؤيتها !!.

انظر كيف تؤثر بالنظر..!؟

حينما ينظر إنسان لإنسان ؛ يرتبك أو تحدث لـــه رهبـــة ..لماذا ؟ هذه أحوالٌ كشفية ، لا يقدر اللسان على بيانها .

الذي يحمي من هذا كله روشتة العلي الكبير :

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الآية (٣٩) الكهف]

كم مرة يقولها المؤمن بالنهار ؟ لا تقل عن خمسمائة مرة .

لأنه ينظر على الدوام ، والذي يقل عن خمسمائة مـــرة ؛ فأمامه جهاد شديد لكي يتابع السيد السند العظيم ﷺ ، ويكون

غافلاً ...وإن كان لسانه يلهج بلا إله إلا الله ، أو أستغفر الله ، لكنه غافل عن حقيقة المتابعة لسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ .

لأن هذه الأذكار هي الأذكار الرافعة والفاتحة ، التي سنَّها رسول الله ، والتي بها قال له الله :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾ [الفتح]

ماذا فتح له؟ ..هذا هو الفتح ! لم يقل الله : فلولا أنه كان من الذاكرين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ، ولكنه قال:

﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ ﴾ [الصافات]

إذن الذكر المناسب هنا ، ما هو ؟

التسبيح !.

والذي يعلّم ذلك هو الطبيب الأعظم ﷺ .

❁ ماذا أفعل ؟

أمشي خلفه ، مثلما قال الصالحون :" حذو النعل بالنعل ، والقدم على القدم " .

لكن الإنسان يريد أن يستسهل ، فيذكر بذكر واحد ، ويردِّده اللسان في غيبة القلب والجنان ، لأن أذكار رسول الله

تحرِّك القلب والفكر ، لأن كل ذكر له حالة والفكر يشتغل فيه .

" الحمد لله الذي أحيانا بعد مماتنا وإليه النــشور" ، فــإذا تفكرت فيها... أنا كنــت ميــت ، لا حــول لي ولا طــول ، وأصبحت حياً ، وسأموت ، وسيأتي يوم النشور !!.. هنا يُشغِّل دائرة الفكر وكل ذكر له موضوع .

إذن القلب لازم يكون حاضر لكي يــأتي بالــذكر المناسب ، لكن عندما أجلس ، وأذكر " لا إله إلا الله " – مائــة ألف مرة – وعيني تنظر هنا وهناك ! ، فاللسان يقول ، والقلب مشغول !! .

لكن أذكار رسول الله تقتضي حضور القلــب ، وجولــة الفكر ، والفكر ...هو أساس الفتح بالذكر: ﴿ الذين يــذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ﴾ وبعد ذلك.. الفتح..:

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

[الآية (١٩١) آل عمران]

عندما يمشي الإنسان في ساحة هذا الذكر بعــد صــفاء النفس ، وطهرة القلب ؛ يبدأ الفكر؛ فتأتي له أرسال وأمواج من العلوم الإلهية ، والإمدادات الربانية ، ويكون أساسها الفكر .

۞ ولذلك بداية العلوم الوهبية : تأتي نتيجة الفكر بهذه الكيفية :

لأنه عندما يتفكّر الإنسان ؛ من الممكن أن ينسى من حوله ، ويذهب في دائرة ثانية خالص ، يتولاه الولي ، ويلهمه بإلهامات نافعة ورافعة في ذلك الوقت والحين ، ويؤيدها له بنصوص في كتاب رب العالمين ، وأحاديث صحيحة عن سيد الأولين والآخرين ﷺ .

۞ ولذلك عندما ترى إلهامات الصالحين أين هي ؟ إما في آية قرآنية ، أو في حديث نبوي.

كيف تأتي؟

تأتي نتيجة الفكر .

عندما يصوم الرجل الصالح في أول رمضان ، لم يكن يصم مثلنا !

ولكنه كان يتفكر ..... لماذا اصوم ؟

ولمن أصوم ؟

وماذا أريد بصيامي ؟

أنا أريد الله ، ففوراً يبعث له الله :

{ صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته } [٤]

---

(٤) صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الناس يقولون رؤية الهلال ! ، ولكنه يقول إنها رؤيته هو....

فأنا أصوم من أجل رؤيته !

ومتى أفطر ؟

إذا حصلت رؤيته !

وإذا لم تحصل الرؤية ؟

أواصل الصيام على مدى الأيام حتى يمتعني الله ﷻ بهذا المشهد العظيم وأدخل في قول الله :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

[سورة القيامة]

" فإن غم عليكم..." ، الحديث . :

فإن غمت الرؤية بسبب الحظوظ ، والأهواء ، والزور ، والبهتان ، والمعاصي ، والمخالفات ؟

فاكملوا عدة شعبان !! شعِّبوا الخير ، وكثروا فروع الخير – لأنه سمي شعبان لأنه تتشعب فيه فروع الخير – فشعِّب الخيرات ، وشعِّب أبواب القربات ؛ حتى يتم الله ﷻ عليك النعمة ، وينعم عليك بهذه المكرمات .

وذلك نتيجة الفكر بهذه الكيفية ..!.

❁ ولذلك فدائما علامة توفيق المريد ، وعلامة سـعادة المريد :

أن تجده في بدايته (ماشي) مع رسول الله دائماً ، لأنـه يستحضر حضرته في كل عمل ، أو حركة ، أو سكنه ؛ ليرى :
كيف عملها رسول الله ؟... فيعمل مثله..!
ماذا قال ؟.... يقول مثله..!

❁ ولذلك مقرر المدرسة المحمدية لأهل البداية :

هي هذه الأذكار . يطالعها في كتاب :
" الأذكار للإمام النووي " – رضي الله عنه وأرضاه – ،
وكان الصالحون يقولون فيه : " بع الدار واشتري الأذكار " .
أو " عمل اليوم والليلة للإمام ابن السنى ".
أو " الإمام ابن ماجة " ، لكي يعرف هذه الأذكار .

❁ وقد أخذنا منها الأذكار الأساسية ، ووضـعناها في كتابنا :

(أذكـــار الأبـــرار) .

لكي يحفظها المريد ولن تُحفَظ مثل النصوص ، أو القرآن ، ولكن لن تحفظ إلا بالتكرار ، والاستمرار ...!!
ولا يغَّير لفظا .

لأن سيدنا رسول الله عندما سأله أحدهم :

ماذا أقول عند النوم ؟

فأعطاه هذا الدعاء وهو :

" اللهم إني وجهت وجهي إليك ، وأسندت ظهري إليك ، لا ملجأ ولا منجي منك إلا إليك ، اللهم إني آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت..." .

وقال :

أعدْ عليَّ الدعاء ، فأعاد الدعاء إلى أن قال :

(اللهم إني آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبرسولك الذي أرسلت) ؛ فقال :

(لا ... وبنبيك الذي أرسلت) .

وعندما نسمع ذلك أو نقرأه نقول :(أن كلمة رسول أشمل وأعم) ، لكن عند حضرة النبي (لا) ، لكي يعلّمنا أن لا نجتهد في هذه الأدعية ، ولكن نردّدها كما وردت .

ولا تقل : إن كله يوصل .

لأن الكلمة التي قالها ؛ قالها بمدد من السماء ، ويفتح لها خزائن كرم وجود في سدرة المنتهى ، فإذا قلت لفظا ثانيا ، فلن تفتح هذه الكنوز .

مثلا :

لو أن مِفْتاح الباب فيه خلل في سنة واحدة من أســـنانه ، هل سيفتح ؟....لا.

كذلك هذه الأدعية !! .

إذا أبدلت كلمة منها ؛ كأنك غيرت ســـنةً في المفتــاح . وهذه هي مفاتح الفتح التي أعطاها له ، وسلمها له الكريم الفتاح عز وجل .

وهذا هو الأساس الأول !

والعلامة الأولى من علامات التوفيق !

التي إذا ألهم الله بها العبد ؛ يعلم علم الـيقين أن الله عز وجل إختاره لسلوك طريق التحقيق.



العلامة الثانية

الفقـــــه في الديـــــن

فإذا انتهى من هذه العلامة ، ونجح فيها ، وحفـــظ هـــذه الأدعية ، وسار عليها ، ويريد أن يعرف :

هل ربنا مازال يحبه..؟ أم لا ؟

ينتقل للعلامة الثانية :

{ إذا أحب الله عبداً فقَّهَهُ في الدين وألهمهُ رشده }[٥]

فيجد عنده الرغبة في الفقه ... فقـــه الدين ، ولـــيس علم الفقه .

والفقه الحقيقي :

معرفة أحوال رسول الله وصحبه الكرام ، للـــسير علـــى منوالهم ، والتأسي بأحوالهم ، والتخلق بأخلاقهم ، والمشي على منهاجهم . حتى يفتح الله عليه كما فتح عليهم .

فليس عندهم وقت للمجادلات ، أو المناظرات ، ولكـــن لكي يعمل ؛ فيبحث عن العلم الذي يفتح له ميادين العمـــل ، الذي يبلغ به هذا الأمل ، فيكون من أهل الوصال ، ومن أهـــل

(٥) حلية الأولياء والسنن الكبرى للبيهقي عن عبد الله بن مسعود.

الكمال ، ومن أهل هذا الجمال ، الـــذي خـــص بـــه الله ﷻ الحبيب المصطفى والصحب والآل .

۞ وهذه هي علامات التوفيق ، التي اريد من إخواني – بارك الله فيهم أجمعين – أن يأخذوها بجد ويقين ، ولا يأخـــذوها بتهاون مع النفس ؛ لأنها تستلزم إصراراً وعزيمة ؛ لأنهـــا هـــي الأحوال التي كان عليها ، ولا يزال الصالحون أجمعون .

۞ وكما قلت وبصوت عال ....:

من فيكم عندما يجلس للأكـــــــل مع أولاده :
يفتتح الأكل بالدعاء الوارد عن الحبيب ؟
ويختم الأكل بالدعاء الوارد عن الحبيب ؟
ويسير معهم في الأكل على النظام الذي كان يسير عليه الحبيب لكي يتعلموا منه..؟

مع أننا نعملها كل مرة في جميع لقاءاتنا .!
ألسنا نقول :
" بسم الله الشافي المعافي ، بسم الله في أوله وآخره ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهـــو السميع العليم.".!

لماذا نقول هذا الكلام يا إخواني؟
لكي تقولوه هناك وتمشوا عليه دائما .!
متى سنقول هذه الأدعية..؟
...عندما نذهب إلى القبور ..؟!!..أم يوم النشور..!! ؟؟
فنحن لا نمشي خطوة ، أو نذهب إلى أي بيت في أي زمان أو مكان ، إلا ونقول :
" بســـــم الله ، ماشـــــاء الله ، لا قوة إلا بالله "
وأنتم جميعاً تسمعون..!!
لماذا نقول هذا الكلام..؟
أليس لكي تعملوا..؟ إذن لماذا لا يعمل أحد بهذا..؟..!!
لا أعرف .!!

قد يقول :

أنني أقول في سري ، هذا لا ينفع . لازم الكل يـــسمع ، أسمع البيت ، وأسمع سكان البيت الظاهرين والباطنين .

وهذا هو الأساس الأول الـــذي عليـــه أحـــــوال الصالحين ، والذي عليه مدار الفتح عند المتقين .

ومن تهاون بهذا :

فنفسه تضحك عليه ، وتلعب به ؛ وليس له سهم في فتح سيد الأولين والآخرين ﷺ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الفصل الثالث

العِلْمُ للعَمَل

- العلم للعمل
- المجالس بالأمانات
- العمل الخالص لله
- تربية الإنسان لنفسه

العلم للعمل(*)

نظامنا الذي نسير عليه ، وكذلك الصالحون أجمعون ، كانوا وما زالوا يمشون عليه :

أن الدراسة في أكاديمية الصالحين تنقسم إلى قسمين:

جانب نظري أكاديمي في الدروس والمحاضرات ، وجانب عملي في المعمل .

❁ والمعمل يعني :

أن كل واحد يُحْضِر نفسه فيما بينه ، وبين نفسه وربه ، في معمل نفسه . ويعمل معها الواجب ؛ لكي يطبق هذه الدروس في الناحية العملية .

ولا توجد إفادة ، أو إثابة ، ولا فتح ؛ إلا بعد التطبيق العملي . فلو أن الإنسان حصَّل دروساً نظرية – مثل بعض إخواننا الذين معنا منذ ثلاثين سنة – لكنه يحصِّل نظري ، ولا يريد أن يفتح معمل أبداً عنده ، ماذا نفعل له ؟

❁ وبالمثال يتضح المقال :

واحد يعمل (حلواني عند جروبي) ، وأخذ دراسات

(*) كان هذا الدرس بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادي يوم الجمعة ١٠ من يونيه ٢٠٠٥م الموافق ٣ من جمادى الأولى ١٤٢٦هـ.

أكاديمية ويطبخ كل أنواع الحلوى ، والجاتوهات الشرقية والغربية والهندية والصينية ، وغيره ، ولكن لم يتذوقها أبداً..!! هل يقدر على معرفة نكهة أي حلوى من التي يصنعها ؟

لا..! ، متى يدرك نكهتها ؟

عندما يصنعها ، ويتذوقها .

لكن الشرح النظري لا يكفي ، ومبدأ الصالحين في معرفة الحقائق : " ذق تعرف " ، والذوق لا يكون إلا بعد الممارسة العملية...!

❁ مثال آخر:

لكي يكون الواحد من الصالحين ؛ لازم يتجمل بجمال الصالحين ، وجمال الصالحين ...هل هو جمال الصورة..؟

لا..، ولكنه جمال الطبع ، وجمال الأخلاق ، وجمال الأحوال ، وجمال السلوكيات ، .. هذا جمالهم ...!

ولكي أدرك هذه الأشياء ، وأصبح معهم :

لا بد من أن أغيِّر نمط أخلاقي ، وسلوكياتي ، وحياتي ، وأجعلها على نمطهم ..!..؛ وإلا سأظل محلك سر ..!!

وإن كنت معهم خمسين سنة ..!..أو ستين سنة ..!.. أو أكثر ..أو أقل..!.

مثال ثالث :

لكي يكون الواحد منا من الصالحين ، سيباح له أســـرار ! وسيكشف له عن أنوار ! ، لا تباح إلا للأخيار ...! متى يباح له الأسرار ويماط اللثام عن قلبه ليرى الأنوار؟

إذا كان كاتماً للأسرار ... !! ،

وإذا كان هذا الشخص لا يقدر أن يكتم كلمة سمعها من واحد ...!!.. فكيف سيكون كاتماً للأســـــرار؟

فلو إستمع إلى خمسين محاضرة عن كتمان السر وعنوانها " المجالس بالأمانات ".، .. لكنه لم يطبق هذه المحاضرات على حياته العملية ! ؛ فسيظل طوال عمره غربال ..! .

كم يحفظ الغربال من الماء ؟..لا شيء...!

فهل يباح لمثل هذا في أي وقت من الأوقــات ســـر مـــن الأسرار الإلهية؟ ...لا...

لماذا؟

لأنه لم يدرِّب نفسه على كتمان الأســـــــرار ؛ وإذاً ! لا تباح له الأســـــرار.

من الذي سيدربه ؟

هو...!!

لكنني أرى كثير من إخواني ، مثل تلاميذ هذه الأيام :

فالولد عندي ، وعندك ، لا يذاكر ، وكذا البنت .

فإذا قلنا له : يا بني نحن نريد منك الحصول على مجموع عال في الثانوية ، فإنه يقول دبر لي أمهر مدرس في الدروس الخصوصية ، وليس لك شأن ، ولكن هل المدرس سيذاكر بدلاً منه ؟!

❁ كذلك نفس الأمر بالنسبة لأغلب المريدين في هذا الزمان ؛ فهم متخيلون أنهم ما داموا في صحبة فلان من العارفين ؛ فسيصبح كل واحد منهم في يوم من الأيام من أولياء الله المتقين .

ونحن نقول له :

في إمكانك ذلك ، لكن عندما تفتحَ المعمل الخاص بك ..، وتدخل فيه نفسك.. ، وتحجِّمها.. ، وتحدِّدها... ، ويا حبذا لو تسحقها ..، وتمحقها ..، وتجعلها تنبت من جديد .. ، على النهج السديد للنبي الرشيد ﷺ.

❁ فقد تكون معجباً بنفسك ، وترى أنك على ما يرام ، وتريد أن يأتي الخير على ذلك ، بينما ربما يكون حالك في رأي سيد الأنام ، والصالحين الذين في معيته : غير تمام... !! فكيف يتحقق لك ذلك ؟

على الأقل تكون مثل أولاد الأنصار ... :

السيدة أم سليم – أم أنس بن مالك – كانت لا تنجب ، فلما حملت بأنس ؛ نذرت إن رزقها الله بغلام ؛ أن تجعله خادماً للكعبة ، فولدت أنس .

وعندما بلغ سبع سنين ، وهاجر سيدنا رسول الله ، ودخلت في الإسلام ((وكانت من الفضليات العظيمات في الإسلام ومن الصالحات ؛ حتى أن سيدنا رسول الله كان يذهب ويقيل عندها في بيتها – من إيثاره لها ، وهذا يعني أن لها منزلة عظيمة .)) ، فأخذت ابنها أنس ، وقالت يا رسول الله : هذا أُنيس ، كنت قد وهبته للكعبة ، واليوم أهبه لك . فكان خادماً لرسول الله .

وفي يوم من الأيام ، وجدت أنساً يلعب ، فنادت عليه :
يا أنس ماذا تفعل؟..قال:
ألعب ... وأين تذهب؟..قال:
أرسلني رسول الله ﷺ في أمر..!، قالت:
ما هو..؟ قال..:
ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ – وهي أمه – فاحتضنته ، والتزمته ، وقالت:
هكذا فكن .

وهذا طفل صغير ، فما بالك لو كان رجل وعمره ســـتين سنة ، أو سبعين سنة ، وماشي معنا منذ ثلاثين ســـنة ، لكنـــه لا يستطيع أن يكتم كلمة سمعها من أخيه..!!. كيف يكون مثل هذا رجل..!!..؟

إنه لم يحصل حتى على منزلة " صبي " في طريق الله ﷻ .

المجالس بالأمانات

ولكي يكون رجلا من الرجال ؛ ستكون أســـرار النـــاس كلها في صدره _ وكما قالوا : " صدور الأحرار قبور الأسرار " –، ولذلك قالوا :" يموت الولي ، وأسرار الناس معـــه "؛ لأنـــه دفنها معه ، ولا يذيعها لأحد ، فكيف يكون في هـــذه المهمـــة والذي يسمعه من هذا يقوله لهذا !! ؟

أين المجالس بالأمانات..؟

فالذي لا يريد أن يدرب نفسه عليها ؛ لا ينفع في طريـــق الله ﷻ .

فبداية روضات الصالحين :

أن الطفل فيها يتعلم أن المجالس بالأمانات ، المجلس الذي يجلسه أمانة ، فإذا حدَّث أحداً بما دار في المجلس – بدون إذن أهل المجلس – تكون خيانة ، لأنه لا بد أن يعرف أنهم راضون عن نقل هذا الكلام ، أو غير راضين ....

لكن غير ذلك لا يُحدَّث .

مثلا ..:

جلست مع صديقك ، وحكى لك عن سر : فلو كنت تريد أن تتوسط ؛ تسأله أولاً : أحكي لفلان ؟..فمع أنك تسعى في الخير ، تسأله أولا ؟

كذلك ولو توسَّطت ؛ لا تنقل إلا الكلام الذي يسر ، لكن الكلام الذي يضر ..هل ستنقله ؟

لا. لأنك لو فعلت ذلك في هذه الحالة ؛ لا تنفع حكيماً أساساً .

فهذا هو مبدأ الإسلام ، الذي اتفق عليه أهل الإسلام ، وكان عليه المصطفي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام .

فأول رتبة يأخذها السالك كاتم للأسرار :

إذا تعرض للاختبار ، ونجح في الاختبار ؛ يعطوه " صالح للأنوار ، وقابل لتلقي الأسرار " .

۞ حتى أن الصالحين ، لهم اختبارات عجيبة في هذا الموضوع ، يقول فيها الإمام أبو العزائم – رضي الله عنه وأرضاه – :

" قد يُظْهِر الرجل الصالح بعض أسراره الخاصة للمريد ، ليمتحنه ...كأسرار بيته وعياله ، فإن أذاعها ؛ فلا يؤتمن على الأسرار العلية !! ، وإن ائتمن عليها ؛ فهو لغيرها أأمن ؛ فيباح له أسرار حضرة الله جلَّ في علاه ".

۞ إذن من الذي سيدرب الأخ على هذا الخلق ؟

هو بذاته !!

يأخذ دورة تطبيقية عملية في حياته في هذا الأمر ، ويحاسب نفسه ..:

حاسب ضميرك والحظن أسراري
وقف على باب الصفا يا ساري

هم يعطونك محاضرات نظرية ، وأنت تطبِّق.

۞ من الذي يحاسب؟

أنت تحاسب نفسك !

أنت المهندس ، وأنت الميكانيكي ، وأنت المشرف ، وأنت المراقب ، وأنت التنظيم والإدارة ، وأنــت الجهــاز المركــزي للمحاسبات ، فكل حاجة معك أنت ..!!

فتحاسب نفسك ؛ لكي تصلح لربـــك ﷻ ... يسمُّونه.. " رجل صالح " .

❁ ماذا يعنون بصالح؟

أي صالح للحضرة !.

❁ من الذي يصلحه؟

هو الذي يصلح نفسه .

وهذه الدورة لا بد أن تنزلهــا بنفــسك ، وإن لم تنزلهــا ..؟..بماذا يفيد كلامي..؟

محاضرات نظرية فقط ..!، وتكون في هذه الحالة ...عــالم بأحوال الصوفية !.

العمل الخالص لله

ننتقل إلى نقطة أخرى في حديثنا : من أعظم أبواب القرب التي يتقرب منها العبد إلى ربه ، باب :

" فعل الخير مع الناس ، ومع أهل الخير ؛ ابتغاء مرضـــاة الله " ، وهذا باب عظيم ، ولكن له آفات ، لا ينجو منها إلا من حفظه العزيز الحكيم ﷻ .

كيف..؟

قال الحبيب المصطفى ﷺ :

{ إن المـرء ليعمل الخير فيما بينـه وبين الله ، فلا يـزال الشيطــان بـه حتى يُحَدِّثُ بـه ، فإذا حَدَّث بـــه ؛ حبط عمله }[٦]

❁ فالذي يريد أن يكون من رجالات الله :

يحرص أن يكون عمله في طي الكتمان بينه وبين مـــولاه ، إذا كان عبادة خاصة ، أو إذا كان صدقة ، أو إذا كان براً ، أو إذا كان معروفاً ، أو أي خير قدمه لأحد من العـــالمين ؛ يكـــون جميعه بينه وبين الله !!.

---

(٦) شعب الإيمان للبيهقي عن أبي الدردل.

۞ من الذي سيجاهد النفس على هذا الأمر؟

أنت الذي ستجاهد نفسك .

فالذين سيكونون تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظـــل إلا ظله ، منهم رجل تصدق بصدقة حتى لا تعلم شماله ما قـــدمت يمينه ، إذا كانت الشمال لا تعلم ما أنفقت اليمين !، هل سيعلم صاحب الشمال ، وصاحب الـــيمين ، والـــصاحب بالجنـــب ، والسامعون..!!؟!

ولذلك كان الصالحون – ولا يزالون :

يخفون أمور المعروف والبر ، حتى عن أزواجهـــم !!، ولا يعلموهن بها ؛ لأن السيدات لا تقدر على الكتمان ؛ فتبـــيح ، وربما تكون الإباحة داخلة في قول الله :

﴿ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾

[الآية (٢٦٤) سورة البقرة]

۞ ولأن الإنسان في رحاب الله :

النظـــرة التي سينظرها لأخيه ؛ يعطيه الله عليها أجراً .
الكلمة الطيبة ؛ يعطيه الله عليها أجراً .
إذا أطعمه لقمة حلواء :

{ من أطعم أخاه لقمة حلواء ؛ وقاه الله شر مرارة الموقف يوم القيامة }[7]

إذا سقاه كوب عصير أو شاي :

﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الإنسان]

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾
[سورة الكهف]

لا يضيع شيء ، بشرط إذا عملت ..يكون الكشف الذي سجل فيه العمل ، يُرفع إلى الله :

﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [الآية (١٠) فاطر]

❁ لكن الذي يحدث مثـــــــلاً : أن جماعة من أهـــل الخير زاروني :

فتذيع زوجتي لصاحبتها ، أو جارتها ، أو حتى لأختها الخبر ، وتقول : لقد زارنا أمس فلان وفلان ، وعملت لهم كذا وكذا ، وذلك قد يضيِّع ثواب العمل لي ..!...ولها .

❁ سأل أحد الحاضرين :

---

(٧) الترغيب في فضائل الأعمال عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وما ذنبي ؟

فأجاب الشيخ :

لأنك لم تعلّمها ، لأنك يجب أن تعلمها ، وتقول لها : إذا كنت تريدين أن يكون هذا العمل لله ؛ إذن فلا تقولي لأحد .

۞ استطرد أحد الحاضرين بسؤال آخر :

سيقال إنه كان عنده فلان ، ولم يقل لنا ؟

كان عندي فلان يزورني ، لكن ليس من حقهم أن يسألوا ماذا أكّلْتُموه ..؟..أو شرّبْتُموه..؟.. لأن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

۞ عندما يسألني سائل ... فلان كان عندك ؟ أقول : نعم ... ، فيم تكلمتم ؟..أقول له :

هذا ليس من شأنك "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" . وعندما يعلم الناس عني ذلك ، لن يسألوا مرة ثانية.

۞ فيجب أن نعلّم الناس هذه السلوكيات .

سأخاف وأستحي من الناس ؛ ضاع الدين كما نرى الآن ، ضاع الدين بسبب الحياء والجهل ،. لا يعلّمهم أحد ، ونحن نستحي أن نوجّههم .

مع أن كل حركة ، أو سكنة في حياتك ، تستطيع أن تجعلها عبادة لربك ، على أن تكون عملاً خالصاً بينك وبين الله .

❁ فسيدنا علي زين العابدين – ابن الإمام الحسين رضي الله عنهما – وكانوا يسمونه "السجَّاد" ، وكان من أثرياء المدينة ومن المرفَّهين .

لما مات ؛ وهم يُغسِّلونه ؛ وجدوا أن ظهره مصاب "بكلُّو" كأنه يعمل عتال ، وهو رجل من المرفَّهين ، وعنده خدم ؛ فتعجبوا من هذه الإصابة في ظهره ، وما الذي أصابه بها ؟

وبعد شهر ، فوجئوا بثلاثين عائلة في المدينة ؛ وقد انكشفوا ، وأصبحوا لا يجدون الكفاف ، فسألوهم : كيف كنتم تعيشون قبل ذلك ؟..فقالوا كلهم :

كنا مع مطلع الهلال ، كان يحضر شخص لا نعرفه ، يحمل جوال دقيق على ظهره ، ووعاء سمن في يد ، وصرة فيها دنانير في اليد الأخرى ، ويطرق الباب فنخرج لاستقباله ؛ فنجد المؤنة على الباب ، ولا نجد هذا الشخص .

أخذ يكفل هذه الثلاثين أسرة ، ولا يعلم به أحد إلا الواحد الأحد ، لا زوجة ، ولا خادم ، ولا بنت ، ولا ولد .

وذلك لأنه سمع النبي يقول :

{ صدقة السر تفضل صدقة العلانية بسبعين ضعف }[٨]

لم يقل بسبعين مرة ، ولكن سبعين ضعف ، ويضاعف الله لمن يشاء :

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾

[آية ٥،سورة البينة].

تربيةُ الإنسانِ لنفسه

من الذي سيربِّي الإنسان على مثل هذه الخصال ؟

هل المحاضرات النظرية الأكاديمية التي نحن فيهـــا الآن ؟ أم الميدان العملي؟

والميدان العملي .،.الإنسان مسئول عنه ، وكـــذلك مسئول عمن حوله ، لازم ينبِّه عليهم ؛ لأن السيدات ضعيفات في مثل هذه الأمور ، وتكشف المستور... يقول لها : إذا كنـــت

(٨) رواه البيهقى عن عبدالله .

تريدين أن تكوني من أهل الصفا والنــور ، وفي معيــة العزيــز الغفــور ، فيجب أن تسيري مثل النساء المؤمنات ، القانتات ، التائبات ، العابدات..

ما أوصافهن؟

أنا لا أسمع ! ، أنا لا أنظر !، أنا لا أتكلم !.

فيم..؟

في أي خير تراه ، أو تعمله لعباد الله ، لا تريد أن تــسمع حسن ثناء عليه ، ولا تضعه أمام عينيها ، ولا تحكي لمن حولها – حتى ولو كان أعز الناس عليها – .

والإسلام أعطانا درسا عمليا عظيما في هذا الأمــر ، فإذا كانت الأمور العــادية التي بين الرجل وزوجته ..أمَــرَ ألا يفشيها أحد لأحد :

{ إن شــر الناس منزلة عند الله يوم القيامة ؛ الرجــل يفضي إلى زوجته ، وتفضي إليه ؛ فيصبح فينشر سرها ، وتنشر سره }[٩]

حتى البنت لأمها. ولازم أربي ابنتي على ذلك من البداية ؛

---

(٩) رواه مسلم ، عن أبى سعيد الخدرى .

أقول لها :

إياك أن تقول لأمك حصل ! أو لم يحصل ! .

وكذلك أقول لأمها :

إياكي أن تسأليها ..، إلا إذا كان هناك مشكلة ؛ تتدخل لكي تحل المشكلة فقط..!.

ولما وصى النبي النساء ؛ فواحدة من البنات قالت : يا رسول الله، إنهن ليقلن ! .

فقال ﷺ فيما معناه :

"من يقل ذلك ، فكأنهما شيطان وشيطانة ، فعلا ذلك على قارعة الطريق ، والناس يشهدون ".فإذا كان ذلك في الأمور العادية فما بالكم في الأمور الإلهية .

۞ من يريد أن تكون له منزلة عند رب البرية ...ماذا يفعل؟

يجب أن يكون ما بينه وبين مولاه ؛ لا يعلمه إلا الله..!!. إذا كانت شمالك ؛ يجب ألا تعرف ما أنفقت يمينك ، فكيف يعرف غيرك ؟

❁ فالذي يريد أن يكون من أهل الإخلاص ، ويستودعه الله حقائق الإخلاص :

يجب أن يدرب نفسه على أفعال الخواص . وكل عمـــل يسديه إلى الناس ، أو يرفعه إلى الله ؛ فلا يعلمه إلا حضرة الله – حتى ولو كان كوباً من الشاي –.

لماذا يقول ؟ ولماذا نقول :..فلان زارنا اليوم !

لازم نقطع ألسنتنا ، وألسنة نسائنا ؛ عن ماذا أكّلتُــــه ؟ أو ماذا شرَّبتُـــه ؟

لأن هذا كلام لا يليق وليس من أدب الإسلام .

ولنفرض أنني عندي حاجة على قدري في هذا اليوم ، ولا أستطيع أن أبوح بها ، وسوف تضطر أن تكذب ! فترتكب إثمـــاً كبيراً .

هذه أسرار ..!.لازم يتعلم عليها الصغار ، و الكبار..

السيدات من طبعهن أن يستدرجن الأطفال.. :
تعال ياولد ..!..من كان عندكم اليوم..؟
يقول :
كان عندنا فلان وفلان .،.. تقول :
ماذا أكلّته أمك ؟

۞ وهذا من الفضول .

ومن أراد الوصول فعليه بترك الفضول ، فمــن لا يــربي نفسه على ترك الفضول ؛ لا يطمع في الوصول .

مثلاً :

رأى اثنين يتكلمان مع بعضهما ...من الفضول : أنه يريد أن يعرف فيما يتكلمان ؟..ويلف ، ويدور ؛ ليعرف الخبر ...! ، ولماذا أعرف؟

۞ السالك في طريق الله يجب أن يبني نفسه على هــذه الشاكلة :

يرى أحوال الصالحين ، ويمشي عليها .

۞ فقد قرأت – وذلك على سبيل المثال وليس علــى سبيل التباهي – أن سيدنا سعيد بن المسيَّب – رضــي الله عنــه وأرضاه – صلى في مسجد رسول الله أربعين سنة ، كان لا يعلم في هذه السنين من على يمينه ولا من على شماله .

فكنت أطبق هذا النهج :

كنت أذهب لصلاة الجمعة ؛ وأحاول مــع نفــسي أن لا أعرف من على اليمين ولا من على الــشمال ؛ وأقــصد أن لا أخرج من المسجد إلا بعد خروجهم ...

طبعاً في الأول ، كانت عيني تريد أن تلتفت ، وتريد أذني أن تسمع ، .فهذا هو الجهاد.

❁ سأل أحد الحاضرين:

لقد سمعت قريباً ، أن صلاة الجمعة بالذات غير محتاجة أن الواحد يصلي ويخرج من المسجد ، ولكنها محتاجة إلى أن يمكث الواحد ليصافح إخوانه ؟

طبعاً !. لكن الحالة التي أحكي عنها :
للنقاء والصفاء ، من أجل الجمال والبهاء ، لا يريد أن يشتغل بالخلق ، هذه مرحلة أخرى إنه يدرب نفسه .

لكنا الآن ؛ لازم نصافح ، ونتكلم ، ونبتسم ، لكي نأخذ الأجور .

لكن الأخرى ؛ كانت مرحلة عندما يقرأ الواحد عن حالة من حالات الصالحين ؛ يحاول أن ينفذها.

❁ أين ينفذها؟

في المعمل ، مع نفسه ...!!
والمعمل ممكن في الجامع !!..، ممكن في السوق ..!!، ممكن في الشارع ..!!..، ممكن في العمل ..!!..، ممكن في البيت ..!!.
المهم أن ينفذها !!!!

❁ لكن إلى متى نسمع نظري؟

العلـــم يهتف بالعمل ... فاعمـــل تنل كل الأمل

لازم ندخل ميدان العمل...!!

❁ من سيدخلك؟

أنت ...!!

❁ من الذي سيهذب نفسك؟

أنت...!!

❁ من الذي سيرقيها؟

أنت...!!

❁ أما نحن فنوجِّه ، ونساعد ، ونعين .

لكن عليك أن تبدأ .

لكنك نائم ومعتمد أنك عند مدرس شاطر ، ومعتقد أنك ستحصل على ٩٩% في الثانوية ، بدون أن تـذاكر أو تفـتح كتاب ، هل ينفع ذلك؟

لا...!!!

لازم تدخل الميدان ...!!..

وتفتح المختبر ..!!..
وتجاهد النفــــــس..!!..، .

وهذا ما أريد أن أقوله لكي ننال ما نتمنى .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الفصل الرابع

أسرارُ الحُسْنَى السابِقَة

- طيـــبُ الحبيـــب
- حقيقة القيام لرسول الله ﷺ
- سر معرفـــة الله
- الدرَّة النورانيـــة
- جزاء الإحســان
- الذكـــرى تنفع المؤمنين
- ألفــة القلــوب
- مشاهـــد الأصفيـــاء
- جهاد العـــارفين

طيب الحبيب(*)

الحقيقة أنه عندما تسمع القلوب أي شيء عـــن الحبيـــب تطيب ، تطيب من الهموم ، والغموم ، ومن المشاكل .

هل منا من يتذكر هذه الأشياء الآن؟

كلا..!

لأنه عندما تأتي سيرة رسول الله :

ربنا سبحانه وتعالى يُذْهب كل هم ، وغـــم ، وكـــرب ، وضنـــك ، وســـوء ، عـــن القلـــب المـــشـــغول بحبيـــب الله ومصطفاه ﷺ .

۞ وتقريباً للحقيقة :

الإنسان خلقه الله ﷻ ذائقـــاً للجمـــال ، وراغبـــاً في الكمال .

وكلما رأى الإنسان جمالاً رغب فيما هو أجمل .

إن كان الجمال في المنظر ؛إن كانت مناظر بشرية ، أو منـــــاظر طبيعية .

(*) كانت هذه المحاضرة يوم الجمعة ٢ من جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ الموافق ٨ من يوليو ٢٠٠٥م بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادى بالقاهرة بعد صلاة الجمعة.

أو كان الجمال في الشئون ؛في مسكن ، أو سيارة .
أو كان الجمال في ما تشتهيه الأنفس ، من مـــآكل ، أو مشارب ، أو مفارش ، أو مناكح ..!!

كل هذا تشتهيه الأنفس.

۞ لكن إذا لاح للأرواح جمال حبيب حضرة الفتاح :

فإن الإنسان لا يتمنى ، ولا يشتهي شيئاً في الـــدنيا ، ولا الآخرة ، ولا الجنة ، سواه ...!!!!

لأنه لا يوجد أكمـــل ، ولا أجمـــل ، إن كان في الدنيا ، أو الآخرة ، أو حتى الجنـــة ..: من جمال رسول الله الروحـــاني النوراني .

وليس الجمال الجسدي ؛ لأن الجمال الجسدي فان. ولكن الجمال النوراني ، والجمال القدسي ؛ الذي لـــمَّعه ربنـــا ﷻ بجمال ذاته ، وأفاء عليه من تترل كمالاته وجمالاته ﷻ ، ورؤية هذا الجمال هو ما يؤدي ببعض الناس أن تتعجب من أقـــوام لا تشغلهم الدنيا بجميع مشتهياتها التي ذكرناها ؛ ويقولون :

لماذا لا تشغلهم هذه المشتهيات ، والمطارف ؟

لأنهم رأوا بقلوبهم ، وبأرواحهم : الأنعَـــم ، والأبهـــى ، والأجمل ، والأكمل ، والأعظم !!

فلماذا يلتفتون لغيره ؟
بعد أن رأوا هذه الطلعة البهيــة ...!!!، والحــضرة النورانيــة ...!!....للمصطفى ﷺ.

حقيقة القيام لرسول الله ﷺ

إذا كان الجمال الذي يقول فيه سيدنا حسان بن ثابــت رضي الله عنه وأرضاه:

قيـــامي للحبيب علـــيَّ فــرضٌ
وترك الفَــرض مـــا هو مســـتقيم
عجبت لمـــن له عقـــلٌ وفهـــمٌ
يرى هـــذا الجمـــال ولا يقـــوم

وطبعاً بعض الناس الذين على قدرهم ؛ قالوا :

يقوم يعني يقوم له واقفاً !..

وكيف يتم هذا الوقوف الآن؟

ولكن حقيقتها :

يقوم لخدمته ، ويسعى لنصرته ، ويمشي لتأييد شريعته ، ويذوب عن ناسوته وبشريته ، شغلاً بحضرته ﷺ .

وليس القيام أن يقف كما قالوا ؛ لأن سيدنا رسول الله نفسه لا يريد هذا ، لكن يريد من يقوم بخدمته – وليس خدمته هو – ولكن خدمة الشريعة .

وهذا أمر سيدنا رسول الله ، وسدنة الشريعة الأمناء في كل زمان ومكان .

وهذا ما جعل الصالحين دائماً منشغلين البال ، ودائماً مشغولين قلباً وقالباً ، بالحبيب الأعظم ﷺ .

ولكننا جميعاً – والحمد لله – وكل مؤمن عند سماعه لسيرة الحبيب ؛ يحن قلبه ، ويهيم فؤاده ، ويشتاق على الأقل لزيارته ، إن لم يكن سيشتاق لرؤياه .

وهذه هي البشرى التي يطمأننا بها ربنا عز وجل .

وما دام الإنسان يحنُّ عند سماعه لسيرة حضرة النبي ، ويريد أن يزوره ، ويريد أن يراه ، ويحنُّ له : هنا لا بد أن يتيقين أن له سابقة عناية من الله ، ويتأكد أنه من الجماعة الداخلين في قول الله :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [سورة الأنبياء]

لماذا؟

لأن رسول الله هو الذي أذاع هذه الحقيقة ، وأبان هذا الأمر ؛ عندما حكى عن ربه عَزَّ وَجَلَّ في الحديث القدسي :

((كنت كنزاً مخفياً؛ فأحببت أن أعرف ؛ فخلقت الخلق ليعرفوني)) .

المعرفة هنا ؛ دائرةٌ مع المحبة .

سر معرفة الله

من الذي يعرف ربنا

الذي أحبه الله ﷻ **" أحببت أن أعرف "** ؛ فالذي أحبه الله ؛ يعرِّفُــه بحضرته ..

كيف سيعرّفــه؟

عن طريق رسول الله ..

هل هناك من يعرف الله بدون رسول الله؟

لا..!!

فكون الإنسان عرف الله ؛ فهذا دليل على محبة الله ﷻ له ، لأن الله عرَّفه بذاته وعرَّفه بسيد كائناته ﷺ .

وقد بين سيدنا رسول الله الدليل الذي لا يحتاج الإنـــسان بعده لأي سند أو دليل فقال ﷺ :

{ إن الله خلـق الخلـق فـي ظلمـة ، ثـم رشَّ علـيهم مـن نـوره – ونوره يعني نور رسول الله ﷺ **– فمـن أصـابه ذلك**

النور – اسمعوا وعوا – وفّق ، واهتدى . ومن لم يصبه ذلك النور ؛ ضلَّ وغوى }[10]

وهذا حديث صحيح ؛ رواه الإمام البخاري ، والإمام مسلم ، وموجود في كتب الصحاح **:" إن الله خلق الخلق "** .كلهم ...في ظلمة .!!!، ومن أراد أن يعرِّفه به ، ماذا فعل له ؟ رش عليه من نور حبيبه ومصطفاه **..". ثم رشَّ عليهم من نوره "**...على من؟

على الأحباب .

" فمن أصابه ذلك النور " : يكون هذا المراد ، والمطلوب ، وفّق ، واهتدى .

" ومن لم يصبه ذلك النور ضلَّ وغوى " : حتى ولو علم علوم الأولين والآخرين ، وحتى ولو كان من الأساتذة الكبار في المعاهد العلمية الأوربية أو الأمريكية ، مثل المستشرقين الذين درسوا الدين الإسلامي ، لكن هل سيهتدي أحدهم؟

لا، إلا من سبقت له من الله العناية !.

لأنه درس ، ولكنه لم يرث ، فالذي ورث ...هو من أخذ ذرة من نور المحبة ، وظهرت عليه أنوار الأحبة ، بعد طلاوته من نور رسول الله ﷺ .

---

(١٠) سنن الترمذي- الجامع الصحيح عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

فقد أخذنا هذا بفضل الله ، وبكرم الله ، وبمحض عطاء من الله جلّ في علاه .

۞ ولذلك عندما نسمع ؛ نـــَحِنُّ ...إلى ماذا نَحِـــنُّ ؟

نـــَحِنُّ للأصل ، مثلما يرى الواحد منا في الدنيا شخصاً ، ويجالسه ....،...وتمر على هذه الحادثة سبع سنين مثلاً ، ويرجع بعد هذه السنين يقابله ، فبمجرد أن تصوب عليـــه الكـــاميرات الإلهية – فوراً – تعطي صورة للذاكرة الربانية ؛ فيقول له : لقد رأيتك قبل ذلك !!... أين..؟ لا أعرف ..!

ثم بعد ذلك يتذكر ، ويقول له : لقد رأيتـــك في المكـــان الفلاني ، يوم كذا ، وقد قلت لك كذا ، وقلت لي كذا !.

ألا يحدث ذلك؟

وهذا الكلام في الدنيا ، وهذا بالنسبة لنا أجمعين ، وللناس جميعاً ، أي انسان إن كان مؤمناً أو غير مـــؤمن ، مهتـــدى ، أو ضال .

لكن بالنسبة للمـــؤمنين ، والموحِّـــــدين ، والمـــوقنين ، والمحسنين ، لقد رأى هؤلاء مشاهد عالية في الحضرة التى حكاها لنا رسول الله ﷺ **"..ثم رشَّ عليهم من نوره "** :

رأينا فيها مشاهداً روحانية ..!!..

حيث كانت الأرواح هـــي الموجــودة فقــط ..!!.. ولم تكــن الأجسام..!!..، ولا النفس..!!..
مشاهـــد اً روحانيـــة.

الدُّرةُ النـــورانيَّـــة

وهذه المشاهد علقت ، ثم تترل إلى القـــــلوب في حالـــة الصفا ، فتجعل الإنسان يحنُّ دائماً لمراتع الصفاء هذه .

والتي يقول فيها سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه:

على الدُّرة البيضـــــاء كان اجتماعنـــــا
وفي قـــــاب قوسين اجتمـــــاع الأحبة

كنا مجموعين هناك على " الدرة البيضاء " ...

وهـــي الدرة النورانيـــــــة ، قبل خلق الطين ، وقبـــل خلق الأفلاك ، وقبل خلق الأملاك ، كانت هناك درة نورانيـــة

أشار إليها النبي فقال :" **قبضت قبضة من نوري** "... هذه هي الدرة .." **وقلت لها كوني محمداً..**"

۞ وهذه القبضة ...ليست كقبضتنا هذه..!!.

حاشا لله عن هذه القبضة ، كلمة " قبضة " : يعني مجمع ؛ يعني جمعت مجمعاً من نوري !!... جميع أنواري ، وجميع أسراري ، وقلت لها كوني محمداً .

يعني فيه جميع جمالات الله ، وجميع كمالات الله وجميع أسرار الله ؛ لأنه قبضة الله الجامعة الشاملة لجميع عطاءات الله جلَّ في علاه .

فاجتمعنا جميعاً ، ورأينا هذه الأشياء ، وسمعنا ، ولكن بالسمع الروحاني ، للأسرار التي أذاعتها إذاعة الحق ، ونحن في رحاب الحق ، منظورين بنظرات سيد الخلق ..!

۞ ويتكلم الإمام أبو العزائم في هذا الموضوع ويقول:

من ألست لم ننسَ ما قد شهدنا
من جمال الجميل إذْ خاطبنا

لم ننسَ هذه المشاهد ، ولا الخطاب الذي سمعناه في هذا الموقف...:

كيف أنســـــاك يا جميـــــل وأنت

ســــر مجلى الأسمـــــاء عرش المعنى

هذه معاني راقية ، وعالية ، وقد عشنا فيها .

۞ ولذلك كلمة الإيمان ماذا تعني؟

يعرفوها – باللغة – بالتصديق ... التصديق ..بماذا ؟

بما سمعه ، ورآه الإنسان من قبل ، وذُكِّر به في هذه الحياة الدنيا ..!عندما يُذَّكَّر..! يَذْكُر...! ثم يصدق .

والذي لم يعش هذه المشاهد العالية هناك ، مهما قال لـــه القائلون ..!هل يُصدِّق..؟

لا.!! لأنه لم يعش في عالم المعاني هذه .

۞ وهؤلاء هم الجماعة الكافرون – والعياذ بالله – لأنه عايش في المحسوسات ، وكل هـــذه الأحاديـــث معنويـــات ! ، كمالات إلهية ! ، ولكنه يريد أن يحضَّرُ الكمـــالات الإلهيـــة في المعمل !!؟، لأنه لم يعشها ولم يرها قبل ذلك .

جمالات محمدية ، يريد أن يراها على شاشة التلفاز ، ويحس بها ، ولا يعرف التلفاز القلبي ..!!ولا يدركه ..!!ولا يقـــدر أن يستورد ، أو يصنع جهازاً منه ..!!

وهذا مخصوص لمخصوصين ! ، كل واحد فينا يستطيع أن يشترى جهاز توشيبا أو ناشيونال أو غيره ؟

لكن من منا يستطيع أن يشترى جهـــاز يـــشاهد هـــذه القنوات الربانية العالية ؟ !!..أين يباع..!!..؟

ولكنه مخصوص لمخصوصين ، هدايا ، وعطايا ، لا يباع ، ولا يشترى ...!! بماذا يشتريه؟

هذا هدية ، وعطية ، ...لمن..؟

لأهل الاجتباء ، وأهل الإصطفاء ، الذين أحسنوا ؛ فأجمل الله ﷻ لهم الهدية ، والأجر العظيم ، والعطاء.



جـــزاءُ الإحسان

﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾

[الآية(٦٠) الرحمن]

والإحسان هنا يعني مقام الإحسان ..!..

لكن هل الإحسان ؛ يعني يوزع عليهم فلوس ؟ أو أكـــل وشرب ؟

جزاء الإحسان يعني :

نُزُل الإحسان ، مشاهد الإحسان ، مقامات الإحــسان ، أليس هذا جزاءاً ؟ أم يكون جزاءاً حسياً ؟

لا ينفع ، لقول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآ ﴾

[الآية(٨٦) النساء]

وهذا لنا نحن ، فما بالكم مع الله ، ماذا يكون....؟

فعندما أحسن عملي ؛ يكون جزائي مشاهد الإحــسان ، ومنازل الإحسان ، وخزن الإحسان .

وهذه خزن في القرآن ، وفي سدرة النبي العدنان ﷺ ، لمن بلغوا مقام القرب والتدان .

۞ ولذلك لما ربنا يتكلم عن الجماعة الذين آمنوا :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ – هنا في الدنيا – يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾

[سورة الاسراء]

لأنهم سمعوا قبل ذلك هناك ، والذي لم يسمع هناك ؟ من الذي يقدر أن يُسْمِعَه هنا..؟

لا أحد ... لازم يكون سمع من هناك في عالم الأزل ، وهذا هو سر سابقة الحسنى :

سبقت لهم الحسنى هناك ، فسمع ، ورأى ، فلما يـــسمع هنا ...!..يكون تكراراً لما رآه وسمعه هناك .

۞ ولذلك لما كلّف حضرة النبي ماذا قال له؟

وذكِّر...!

يعني حاجة أخذوها قبل ذلك !

فذكِّر ، وراجع معهم أنت هنا ، فالدروس أخذوها هناك ، وأنت تراجع هذه الدروس..! ... أليس كذلك ؟

فإنها مراجعة فقط ..!!..

لكن الدروس قيلت قبل ذلك ، وأخذوها في عالم الأزل ، لكن الذي لم يأخذ هذه الدروس ..!؟

هل يقدر أحد ، أن يراجعها معه هنا ؟

لا يهضمها..!!.

﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ ﴾ [الغاشية]

تذكر بالذي كان هناك ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾

أوتوا ؛ يعني بالفضل ...وليس بالتعليم..

﴿ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ - هنـــا في الـــدنيا- يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ۩ ١٠٩ ﴾ [سورة الإسراء]

إذاً الخشوع موجود قبل ذلك ، لكن يَزيدُ الخشوع .

الذكرى تنفع المؤمنين

وهكذا عطاءات الله ، وهذا هو حال المؤمنين .

لكن هل هناك من أحد يستطيع أن يعلّم من البداية... من لا يوجد له التعليم من هناك ؟

لا..

لأنا في الدنيا ، نراجع مع بعض الدروس ، نذكّر بعضا ، لأن الواحد فينا عندما ينزل إلى الدنيا ينسى ، أو تفتر عزيمته ، نتيجة الانشغال بالشهوات ، والحظوظ ، والأهواء ، والملذات .

لأننا كلنا كنا في جنة آدم ، لما آدم هبط إلى الأرض ماذا حدث ؟ لماذا نزل ؟

ذكر الله السبب وقال :

﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [الآية(١١٥) طه]

ما سبب نزوله؟

نسي الذي أخذه قبل ذلك .

ولماذا ضعفت عزيمته ؟

انشغل بمظاهر الجنة ، الثمــار في الجنـــة ، والأطيـــار ، والملائكة ، وغير ذلك فانشغل .

وهي نفس الحكاية بالنسبة لك ، ولي ، لقد كنا في الجنـــة العالية هناك ، جنة المعاني ، وجنة الحقـــائق ، وجنـــة الأرواح ، وجنة اللطائف .

عندما يأتي الواحـــد إلى الدنيا ، إذا لم يكن يجـــالس المذكِّرين ؛ سينسى إذا انشغل بالمظاهر ، والمطارف ، والشهوات ، والحظوظ ، والمباني ، والمغـــاني ، والمـــساكن ، ....كـــذلك سيضعف وينطبق عليه نفس الحكاية...!!

﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾

نفس المرض ، فالبعد ، أو الغفلة ، أو القسوة ! .

ما سبب هذا كله ؟

نَسيَ ، ولم نجد له عزماً ، أي أســـباباً أخـــرى ....كلـــها تنطوي تحت هذه الأسباب .

ما هو علاج النسيان ؟

فذَكِّر !...

ولذلك كثر المذَكِّرين هو ﷺ ؛ مذَكِّرٌ ، وكذلك الورثة من بعده مذَكِّرُون .

هل أحد من الورثة معه حاجة جديدة ؟

أبداً ، ولكنه يذَكِّر ، ولذلك عندما تسمع... يرتاح لهذا السماع قلبك ، ويحِنُّ له فؤادك .

وإذا واحد لم يسمع هذه الحقائق ؛ فلا يقبلها ، وعندما ترى واحداً كان معك هناك في الفصل ، ويمكن أن تكون تراه لأول مرة ، فتقول لنفسك ولمن حولك ، لقد رأيت هذا الرجل قبل ذلك ....ولكن لا أعرف أين ؟..ومتى...؟

على الرغم من أنه لم يحدث لقاء في الدنيا ... إذاً أين كان اللقاء ؟

كان اللقاء هناك ! ، ولكن ذُكِّرْتَ به هنا ، لأنك في حالة الصفاء ، وقد قال في ذلك سيدنا رسول الله :

{ الأرواح جنودٌ مجنَّدَة ، ما تعارف منها ، [١١] } .

أين ؟ هناك ... ؛ **{ إئتلف }** هنا ، ويريدون أن يكونوا مع بعض ولا يفارقون بعضهم ......توجد بينهم ألفة !!

ومن أين تأتي هذه الألفة ؟

---

(١١) المستدرك على الصحيحين للحاكم عن سلمان الفارسي.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [آية(٦٣) الأنفال]

من الله ؛ أي ليس من هنا ؛ ولكن من هناك .

أُلفَـــةُ القُلوب

وهل يقدر واحد أن يؤلِّف بين اثنين هنا ؟

أين هو؟

حتى لو ألَّفْتَ بينهم ..!

المصالح كذلك تنفِّـــرُهم من بعضهم ...

المصالح...!!!!

لكننا نتكلم عن الألفة التي ستدوم ، لازم تكون من الحيِّ القيُّوم ، من هناك .

ولكن الله ألَّف بينهم ، لو أنفقت مـــا في الأرض جميعـــا ...لكي تعطيه لهم كذلك ؟...ما ألَّفْت بين قلوبهم !! ، ســـتؤلِّف بين الأجساد ، ولكننا نتكلم عن أُلفة القلوب ..!

لأن المصالح هي التي تؤلف بين النـــاس ، فيـــشتركون في تجارة ، أو يشتركون في زراعة ،.... هذه ألفة المصالح ، لكـــن الذي يتكلم عليه حضرة الله " ألفة القلوب " ، وهذه من هناك

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [٦٣ ، الأنفال]

۞ عندما يرى الإنسان واحداً ما ، يقول لقد رأيـــت فلان هذا ... متى..!! ؟..وهذه أمور يحتار فيها الإنسان .

لكن عندما يرجع لسيدنا رسول الله ، يعـــرف أن هـــذه الألفة حدثت قبل القبل ، فعندما يحضرون إلى هنـــا فـــالأرواح تعارفت ، وكان دائما ما يحدث هذا بين الصالحين وبين المريدين ، فيعرفون بعضهم فوراً من غير حاجة ؛ وهذا من بـــاب الألفـــة السابقة ، { **وما تناكر منها اختلف** } فيحاول أن يتقـــرب ، ويتودد إليه ، بكل الطرق ..!!بلا جدوى..!!

۞ لماذا؟

لأن الحالة سابقة !!، هل هنـــاك أحـــد مـــن الأولـــين ، والآخرين ، يقدر يعمل عملية ...تصلح هذه الأحوال ؟

مستحيل !

۞ سيدنا أويس – رضي الله عنه وأرضاه – :

عندما سمع عنه واحد من أصحاب رسول الله ﷺ – وهو هرم بن سنان – فأخذ يبحث عنه .

وفي يوم من الأيام ، وهو يسير على شاطئ دجلة ، وكان سيدنا أويس قاعداً على النهر يتوضأ ، فقال لسيدنا أويس :

السلام عليكم..!

فرد عليه قائلاً : وعليك السلام يا هرم بن سنان..!

فقال : كيف عرفتني ؟... قال :

عرفت روحي روحك ، فعرفت اسمك ..!! .. لأن الروح تعرف الروح من هناك..,..قال له :

هل أنت أويس القرني..؟.. قال :

نعم.!..

۞ وكذلك الرجل الصالح ، الذي رأى في المنام أنه سيتزوج امرأةً ما – وكان اسمه الشيخ عبدالواحد بن زيد من التابعين – سيتزوج امرأةً – اسمها ميمونة المجنونة – فأخذ يبحث عنها ، فقالوا له : إنها مجنونة في صحراء البصرة .

فظلَّ يبحث عنها ، إلى أن وجدها واضعة عكازها في القبلة ، وتصلي – والذئاب في وسط الغنم ولا تؤذيها – وبعد

أن فرغت من الصلاة ، قالت له : ما الــذي جــاء بــك يــا عبدالواحد ؟

فقال: كيف عرفتني ؟قالت :

عرفت روحي روحك ، فأراد أن يكلمها ، فقالت :

ليس هنا ولكن في الجنة !. الزواج في الجنة..!

من أين هذا يا إخواني؟

من عالم الحقائق ، والتي سمعناها ، ورأيناها :

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الآية(١٨) آل عمران]

شهدوا هذه الحالة ، شهدوا الوحدانية ، وحيطة القيومية ، وظهور أنوار الصمدانية ، في هذه العوالم الخفية ، قبل الترول إلى الحياة الكونية ، وقبل نزول الأرواح في هذه الأجساد الآدمية.



مشاهد الأصفياء

فعندما ينزل الإنسان هنا ، يتذكَّر هذه المشاهد ، ويعـــيش في رحابها ، ويتهنَّى بمشاهدها ، ويتمنَّى بالشوق والحنين أن يرجع لها ثانية .

ولذلك ربنا عندما يذكِّرنا في القرآن ، يقول :

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ ﴾ [الآية(٨) العلق]

سترجع ثاني ، وعندما ترجع ثانية لعالم الحقائق بشرط :

أن تتجرد من الجسم وأنت فيه !!، وتتجرد من الـــنفس وشهواتها وأهوائها وهي معك !! ، فترجع لهذه الحالة من الصفاء ...!....فترجع لما كنت فيه..:

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ ﴾ ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾

أي أرجع تاني للطريق الذي أتيت منه ، أليس كذلك ؟

﴿ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ ﴾

أين تذهب إذاً ؟

﴿ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾
[سورة الفجر]

فهذه مشاهد الجنات ، ومشاهد العباد التي كنت تعيشها هناك ، ومتى هذا؟

عندما ترجع لهذا الطريق مرة أخرى ..!

كل الموضوع أنه يريد الرجوع إلى الحال ، والمشاهد التي كان الإنسان فيها قبل خلق الخلق ، وقبل القبل ، عندما كنا في حيطة الواحد الأحد الفرد الصمد ، قبل خلق المال والأهل والولد ، وانشغالنا بالبلد ، وما بداخل البلد ، ومشاغل البلد ، ومشاكل البلد ، وهذا ما شغلنا .

فإذا رجع الإنسان للواحد الأحد ، انتهى الأمر ؛ ويشهد ما قد شهده من المشاهد الأولى ، وهي :

﴿ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [١٠٤، الأنبياء]

فتكون هذه هي الإعادة إن شاء الله رب العالمين.



جهاد العارفين

فهذه يا إخواني أحوال الصالحين ، لكن كل الموضــوع ؛ إنك ترجع تاني للهناء الذي كنت فيه ..!

كيف ؟

حاول تخفّف وطأة الجسم ، وطلباته ، وشهواته ، وعتــوّه على الروح ، وظلمة النفس ، وجبروهما ، وطاغوهما .

وإذا فعلت ذلك ؛ سيظهر صفاء القلب ، ويظهر جمــال الروح ، وترجع ثانية للفتوح ، ولمشاهد حضرة السبُّوح ﷻ .

وكل جهاد العارفين والصالحين ، في الرجوع لهذه الأحوال ....كيف..!!..؟

كن كما كنت طيناً أو منياً ... أو طفيلاً في أول الأدوار

ولذلك عندما يولد الإنسان ، وقبل أن تــترل ســـتارة الحسِّ ، فهو يعيش في هذه المشاهد، قبل أن يعرف أن هذا أبوه ، وهذه أمه ، ويعرف من حوله ، يكون في هذه المشاهد ، ويــرى الملائكة ، والملكوت ، وعندما تترل ستارة الحسِّ ، ويميز بين أبيه وأمه وجده ، يُحْجَب عن هذه المشاهد ، لأنه بدأ ينشغل بالأكل والشرب .

لأنه هناك لا يوجد أكل ولا شرب :

{أبيت عند ربي فيطعمني ويسقين} [١٢]

وهذه باختصار أحوال الصالحين.

نسأل الله عز وجل

أن يعيننا على قربه ورضاه ، وأن يطوي عنا كل بين ، ويمحو عنا كل بعد ، ويزيل عنا كل قسوة ، حتى نراه في كل أحوالنا ظاهراً لنا بأعين قلوبنا ، لائحاً لنا ، ظاهراً جلياً بأرواحنا .

وحتى نكون مع الذين أنعم الله عليهم ، من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١٢) صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

هذا وقد ألمع إلى هذه الحقائق الإمام أبــو العــزائم رضي الله عنه حيث يقول:

لي غــــرام مـــن نشـــأتي الأوليـــة
حـــين واجهت وجه رب البريـــة
لاح لي الوجـــه في صفا الروح أحيـــا
ذا غــــرامٍ إلى المعـــاني العليـــة
كنت روحـــاً أشتـــاق والنور حـــولي
صرت جســـماً في دار دنيـــا دنية
ظـــل كوني قد حجب الـــروح وَيْحي
عن شهـــود الأسرار في الصمـــدية
كيف صـــبري مـــن بعد رؤية وجـــه
في صفـــاء عـــن صـــورة مثنويـــة
أنت يا جســـم قـــد سترت حبيـــبي
صـــرت يا جســـم للقريب بليـّــة
خلـــــي روحـــــي تفـــر لله إني
في هيـــام للوصـــل للأحـــديـــة
كانت الـــروح قبـــل حين وجـــودي
في حجـــاب عن مشهـــد الواحدية

في قـــــد شاهــدت جمال جميـــــل
في مقـــام الأعــلين فاشهـــــد أُخَيَّ
سخَّـــــــر العالمين عُلـــواً وسُفْــلاً
لي أيـــا روحــــي كوني عني رضية
إنــني الكنـــز فيَّ غيب المعـــــاني
صـــاغني الله باليـــد الروحيـــة
قالت الـــروح أنت يا جســـم رقٌ
أشـــرقت فيك شمســها الأوليـــة
صـــــاغني الله باليـــدين و أنت
بي نلـــت طهـــوره الأحمديـــــة

الفَصْلُ الخَامِسُ

احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ

احفظ الله يحفظك(*)

الحمــــــــــــــد لله رب العــــــــــــــالمين الظاهر بمظاهر قدرته وفعله لعباده المؤمنين ، والباطن بخفي لطفه ومكنون حكمته لعباده المخلصين .

سبحانه سبحانه ، من شدة ظهوره ظهر فلم يدركه شـــيء إلا بعلمه ، ومن شدة بطونه بطن فلا يحس به ولا يشعر بـــه إلا الملهمين من عنده ، إله قوي في فعاله ، جميل في خصاله ، كريم في عطاءه ونواله . دافع كل كيد ، وكل مكروه ، لمن استند إليـــه واتخذه وكيلاً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، جعل خيوط الأقدار في قبضته ، ومفاتيح الأسباب بين أصابع صنعته ن هـــو وحده الذي يقلب الليل على النهار ، ويقلب النهار على الليل ، وهو وحده الذي يحي ويميت ، ويرزق من يشاء بأسباب ، ومن يشاء بغير أسباب، ومن يشاء بحساب ، ومن يشاء بغير حساب .

وهو وحده الذي يلهم القلوب بما يريد ، ويجعل الخـــواطر تجتاح عقول العبيد ، فلا يتحركون إلا بما يريد .

(*) كانت هذه خطبة الجمعة يوم ٢من جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ الموافق ٨ من يوليو ٢٠٠٥م بمسجد النور بحدائق المعادي بالقاهرة.

لأنه كما وصف نفسه :

﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة البروج]

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، أسند ظهره لمولاه ، وفوض أموره كلها لله ، والتجأ في كل أمر إلى حضرة الله ، وتوجه في كل حاجة إلى مولاه ؛ فما خيَّبه مولاه في مطلب أو مقصد – طرفة عين ولا أقل – وقال له عن هذه الأمة المجتباة :

((أنا لهم ما عاشوا ، وأنا لهم إذا ماتوا ، وأنا لهم في القبور ، وأنا لهم في النشور ، وفي الدنيا أستر على العصاة ، وفي الآخرة أشفّعك فيهم ، من توكّل عليَّ منهم كفيته ، ومن أقرضني جازيته ، ومن سألني شيئاً أعطيته)) .

وقال في ذلك في صريح القرآن :

﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [الآية(٦٠) غافر]

اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد ، الذي ربط القلوب بحضرة علام الغيوب ، وجعل المؤمنين أجمعين في كل زمان ومكان ، لا يتحركون ، ولا يسكنون ، ولا يقولون ، ولا

يفعلون ، ولا يطلبون ، ولا يلحُّون ؛ إلا لمن بيده مقاليد السموات والأرض ، والذي إذا أراد شيئاً ....إنما يقول له : كن فيكون .

صلى الله عليه ، وعلى آله أهل إجابته ، وأحبابه الذين استجابوا لدعوته ، وأتباعه الذين ساروا على هديه ، وتمسكوا بسنته ، وعلينا معهم أجمعين .

آمين آمين ، يا رب العالمين....

إخواني جماعة المؤمنين ..!

لقد كان ما حدث لأصحاب النبي ﷺ ، في زمانه وعصره أمراً خارقاً للأسباب ، يدعوا كل لبيب ، وكل ذكي ، وكل عاقل ، أن يبحث في شئونهم ، وأن يحاول أن يقتدي بفعالهم ، لعل الله ﷻ يرشده ويوجهه إلى طريق الخير والسداد ، كما وجههم أجمعين .

فكل ما نراه ونلمسه من مشاكل جمّة ، ومن أمراض عامة وطامة ، ومن كل أنواع الفتن ؛ لا يساوي ذرة مما وجدوا فيه ، وما كانوا عليه .

لقد وجدوا في بيئة ليس فيها مال ، ولا خير بالمرة ، وليس فيها إلا القوي يتغلب بقوته على الضعيف ، ويسيطر على موارد

الخير ، ويُحْرَم منها الفقير ، والضعيف ، ....والحديث في هــذا الباب يطول.

ماذا يفعلون ليغيَّر الله أفعالهم ، ويقلب الله فقرهم إلى غنى ، وضعفهم إلى قوة ، وسقمهم ومرضهم إلى صــحَّة وفتــوَّة ، وحياتهم غير المستقرة إلى سعادة وهناءة دائمة ...!

ماذا فعلوا ..!!..؟

وماذا نفعل..!!..؟

أعطاهم النبي روشتة صغيرة ، في كلمتين اثنتين ، يستطيع أبناءنا قبلنا أن يحفظوهما ، وقد وجَّههـا للـصغار و للكبــار ، وللمؤمنين والمسلمين في كل زمان ومكان ، على مدى الـدهور والأدوار ، قال لهما في شخص حبيبه عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما– :

{ يا غلام ! ألا أعلّمُك كلمات ؛ احفَظِ اللهَ يحْفَظْك ، احفَظِ الله ؛ تَجِدْهُ تُجَاهك } [١٣]

إذا كنت تخــاف من مرض في نفسك ، أو مــن فقــر في بيتك ، أو من شذوذ في أهلك وولدك ، أو من سوء علاقات في أهلك وجيرانك ومن حولك ، أو من أي ذي جبروت وبطش ،

---

(١٣) سنن الترمذي- الجامع الصحيح.

أو من عصابات وغيرها من أنواع التخويفات التي تلوح في الأفق – الفينة بعد الفينة – ...كل ما عليك :

" احفظ الله يحفظك "..!

كيف احفظ الله ؟

أحافظ على ما كلّفني به الله ، وأؤديه في الوقت و الحين والزمن الذي خاطبني به الله :

يتولاني الله بولايته ، ويجعلني في حفظه وكنفه وصيانته ، ويحفظني ظاهرا وباطنا من شرار خلقه ، ومن جميع الأشرار من بريته ، بل من شر الجن والإنس ، وطوارق الليل والنهار ، وكل شيء يخطر على البال ، أو لا يصل حتى إلى الفكر ؛ ولو استعان بالخيال ؛ لأنني أدخل في قول الله :

﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

[سورة يوسف]

ولذلك صار أصحاب الحبيب على هذه الهيئة :

خرج تاجر من المدينه إلى الطائف – وهي مسافة حوالي أربعمائة كيلو في صحراء جرداء – ليس معه مسدس ، ولا رجال مسلحون ، أو أمن يحفظونه ، ولا يركب سيارة مسرعة ، ولكن يركب جملا .

كيف سار في هذه البيداء ، والصحراء ؟

متكلا على الله ، وواثقــا في مـــــولاه ، وقلبُــه يــشعر بالطمأنينة ، لأن لسانه دائم بذكر الله :

﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾
[سورة الرعد]

وقبل الطائف بمرحلتين ، قابله قاطع طريق ؛ فاستوقفه ، ثم أخذه إلى وادي بين جبلين ، ووجد الــوادي مملــوءاً بـــرؤوس مقطوعة قبله ، فقال له : مصيرك كهؤلاء ..!؛ فأعطني ما معك من مال..!..، فقال :

خذ مالي ودعني ، فإن لي صبية صغاراً لا عائل لهـــم ، ولا كاسب لهم غيري . فقال له : أما مالك فلابد منه ! ، وأما قتلك فأمرٌ ضروري ! ، ولا مناص منه ! ،... فلما وجده مصراً علـــى فعله ؛ قال له :

دعني حتى أصلي ركعتين لله ﷻ .

بمن يستنجد ؟..!!

بمن يستغيـــث ؟..!!

أبالنجدة الدنيوية ..؟.. أم بفرق الإنقاذ البشرية ؟

لا هذا ..!!ولا ذاك ..!!..:

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾
[الآية(٦٢) النمل]

صلّى الركعة الأولى ، وعند ركوعه للركعة الثانية ؛ سمع صوتاً يقول : دَعْهُ يا عدو الله ...! . فواصل الصلاة ، وعند سجوده ؛ سمع الصوت مرة ثانية يقول : دعه يا عدو الله ...! ، فواصل الصلاة ، وفي تشهده ، سمع الصوت مرة ثالثة يقول : دعه يا عدو الله..! ؛ فأنهى صلاته ، وسلم ؛ فوجد شخصا في يده سيف مضرَّج بالدم ، وقد قطع عنق قاطع هذا الطريق ؛ فقال له : من أنت؟

ومن الذي أعْلَمَك بي ؟!!..ومن الذي أرسلك إليّ ؟ !! فقال :

إنك لما استغثت بمولاك ، وأنت في السجود في الركعة الأولى ؛ قال الله تعالى :

من يجيب عبدي فلاناً بأرض كذا ، هذه اللحظة..؟ فقلت :

أنا ، وأنا ملكٌ من السماء الرابعة .

فلما همّمتُ بالنزول ؛ همَّ بقتلك وأنت في الصلاة ، فقلت : دعه يا عدو الله ، وعندما وصلتُ إلى السماء الأولى ؛ همَّ

بقتلك مرة ثانية وأنت في الصلاة ؛ فقلت : دعه يا عــدو الله ، وأنا على باب هذه الوادي ؛ همَّ بقتلك للمرة الثالثة ؛ فقلت : دعه يا عدو الله ، ثم قتلته .....:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [(٣) الطلاق]

نحتاج إلى جرعة يقين , ونحتاج إلى شراب من روح الإيقان في هذا الدين ؛ ليقوي يقيننا في الله ، ونعلم أنــه لا يحــدث في الكون إلا ما يريده الله ، ونعلم علم اليقين حقيقة قول الحبيب :

{ واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت علــى أن يـضروك بـشيء ؛ لـن يـضروك إلا بـشيء قـد كتبـه الله عليـك ، رفعت الأقـلام ، وجفـت الصحف بما هو كائن إلى يوم القيامة }[١٤]

لم تخاف ....،....ومعك الله..؟

ولم تخشَ ...،..وأنت في حماية رب العلا ؟

يقول ربي عزَّ شأنه ، معاتبا لنا في حديثه القدسي :

((يا عبــادي لم تخشون من ذي سلطان وجبـروت ، وأنا لي سلطانٌ وجبروت ؟

---

(١٤) سنن الترمذي- الجامع الصحيح.

يا عبادي لم تخشون الفقر.؟ وأنا خزائني لا تفنى !))

فإن الأمور كلها بيد الله ، لو اعتمد المؤمن على الله لكفاه، ولو اتقاه ﷻ لوجَّه إليه كل ما يحتاجه في هذه الحيــاة ، لأن الأمور كلها بأمر الله جلَّ في علاه ﷻ .

وإذا كنت تخشى ضراً في نفسك ، أو أهلك ، أو مالك ، أو زرعك ، أو عملك ، ألا تعلم أن الله ﷻ يكفي المــؤمنين كل ضر ، على أن تكون قائما له بما يريد .

لقد قال الحبيب ﷺ على سبيل المثال :

{ من صلى الصبح في جماعه كان في ذمة الله تعالى إلى أن يمسي } [١٥]

لكن هذا لمن يصلي الصبح في جماعة في أول الوقت ، أمــا من يصلي بعد الشمس ، أو قبل الظهر ؛ فهذا ليس في ذمة الله ، ولا ضمان الله ؛ فيحدث له مالا يحمد عقباه ؛ لأنه لم يعمل مــا كلَّفه به مولاه جلَّ في علاه .

يا من يبحثون عن شركات التأمين ..!!..، أتعلمــون أن رب العالمين خير أمين على كل شيء تخشونه .

لقد علمنا الحبيب أن نقول عند السفر :

---

(١٥) أخرجه مسلم عن أبي بكر الصديق

{ اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال والولد }[16] .

يتولى حفظهم ، ويتولى رعايتهم ، ويتولى صيانتهم ؛ مادام الإنسان يحافظ على عهد الله ، لا يذنب ، ولا يرتكب الآثـــام ، ولا يخالف شرع الله ﷻ ، في نفس ، أو أقل ، فإن عناية الله لا تتخلى عنه .

كيف كان المجاهدون الأولون يحـــافظون علـــى أهلـــيهم وذويهم ..!!..؟

خرج الرجل مجاهدا إلى بلاد الشام– وزوجته حـــاملا – فقال :

"اللهم إني استودعك ما في بطنها .

وبعد خروجه بشهر ، ماتت المرأة ، ودفنوها .

وبعد مجيئه ؛ قال له من حوله من أهله ، ماذا كانت تفعل زوجتك؟ قال :

كل خير ، قالوا :

نرى نارا تخرج من قبرها عند المساء ، قال :

والله ما علمت عنها إلا خيرا ، انظروني إلى المساء .

وعند المساء ذهب معهم إلى موطن القبر ، فسمع صوت

---

(١٦) صحيح مسلم عن ابن عمر وفى سنن الترمذي عن أبي هريرة.

طفل يبكي ، فحفر القبر ومن معه ؛ فوجدوا الأم الميتـــة ، وقد خرج رضيعها ، وهو يرضع في ثديها ، وهي ميته .

لأن الله ﷻ حفظه له . وسمع قائلا يقول :

استودعتنا ما في بطنها ؛ فحفظناه لك ، ولو اســتودعتنا أمه؛ معه لحفظناهما معا :

{ احـــفظ الله يحـــفظك ، احــفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء ؛ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف بما هو كائن إلى يوم القيامـــــة }[١٧]

أو كما قال ..

ادعوا الله وانتم موقنون بالإجابة.

---

(١٧) سنن الترمذي- الجامع الصحيح.

الخطبة الثانية

الحمـــــــــــــــــد لله رب العـــــــــــــــــالمين .
الذي هدانا إلى التقى والهدى ، وأغنانا بفضله عن خلقه أجمعين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

من أقبل عليه ؛ أقبل عليه بوافر النعم ، وأعطـــاه مفـــاتح خزائن الجود والكرم .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورســـوله ، الـــصادق في إخباره عن الله ، والمبلغ بصدق شرع مولاه ، اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد ، صلاة ترضيك وترضيه ، وترضى بهـــا عنا يارب العالمين.

أخي المؤمن ...

احفظ الله ؛ تجده تجاهك .

لا أقول جرِّب ، لأنه لا يجوز أن نجرب مع الحكيم الخـــبير ﷻ ، احفظ أوامر الله ؛ تجد الله معك في كل اتجاه ، يتـــولاك بولايته ، ويصونك بصيانته ، ويواليك بكرمه وجوده ومودتـــه ، ولا يحوجك نفساً ولا أقل إلي شرار بريته .

هذا المنهج الذي علمه الرسول الأمين ، لأصحابه الكرام .

ولذلك قيل لأبي جعفر الصادق – رضـــي الله عنـــه – : أتحتاج إلى شيء؟..قال :

أما من الخلق ، فلا ..! ، قيل :

ولــم ؟...قال :

ما احتجت إلى شيء ؛ إلا وقلت يارب : عبـــدك جعفـــر يحتاج إلى كذا ، فلا أستتم كلامي ؛ إلا وأجـــد هـــذا الـــشيء بجواري .

ورأى رجل من التابعين ، شيخاً كهلاً يمد يـــده يطلـــب حوائج من الناس ، فقال له :

يا هذا ضيَّعت حقوق الله صـــغيراً ؛ فـــضيَّعك الله ﷻ كبيراً ، ولو حفظت حقوق الله ﷻ صغيراً ؛ لحفظك الله ﷻ كبيراً.

أروني يا إخواني من يحافظ على أوامر الله ، وتتخلى عنـــه عناية الله ، طرفة عين أو أقل ..!!!!... لا يكون أبداً !

لأن هذا وعد الله ، ووعد الله ﷻ لا يتخلف .

إذا كان الله ﷻ يعطي السائل ولو كان بعيداً عـــن حـــضرته فكيف بمن هو دائم الإقبال على حضرته ، ويواظب على ذكره وشكره وطاعته ؟

فإن الله ﷻ يديم له الخيرات ، وإذا أخرَّ عنه حاجة ؛ فلأنه بعلمه الإلهي ، يعلم أن مصلحته ليست في تعجيل هذه الحالة ، وهو بعقله الكاسب يظن أن تسريع قضاء هذه الحاجة هو المصلحة ، وهو المهم ، والله ﷻ يعلم ما لا تعلمون.

إخواني وأحبابي !

المؤمن إذا كان مع الله ، كما كان أصحاب حبيب الله ومصطفاه : أعطاه الله ما قال فيه الإمام علي – رضي الله عنه وكرم الله وجهه – حيث يقول :

من أراد غنىً بغير مال ، وعزاً بغير عشيرة ، وقوة بغير أكل وطعام ، فعليه بتقوى الله ﷻ .

نسأل الله ﷻ أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته. اللهم ارزقنا خالص تقواك ، واجعل أفئدتنا في كل أحوالنا توافقك وتخشاك ، وأقبل بنا عليك دائماً وأبداً ، واحفظنا أجمعين من جميع من سواك.

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك .

وأغننا بفضلك عمن سواك . ولا تحوجنا إلى أنفسنا ، ولا إلى غيرك ؛ طرفة عين ولا أقل.

اللهم اجعلنا من عبادك الذين تتولاهم بولايتك ، وتحفظهم بحفظك وصيانتك ، وتجعلهم في الدنيا والآخرة من أهل إكرامك وفتحك وعنايتك. اللهم اغفر لنا ، ولوالدينا ، وللمسلمين ، والمسلمات ، والمؤمنين ، والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات .... إنك سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين .

اللهم أصلح ولاة أمورنا وحكامنا ، وأصلح حكام المسلمين أجمعين ، وألهمهم اللهم العمل بشرعك ، وسنة نبيك في كل وقت وحين . وأبعد عنهم حاشية السوء ، وأهل الأهواء ، والدنيا والمعاصي ، يا أحكم الحاكمين.

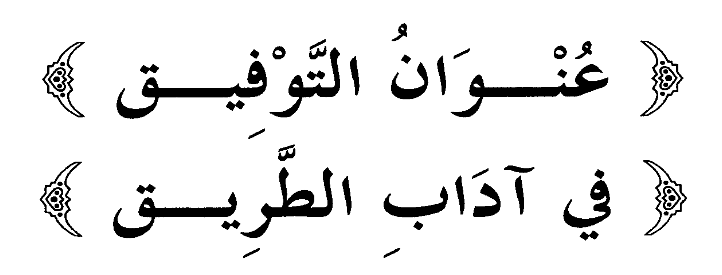
عباد الله ! ، اتقوا الله.....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل]

اذكروا الله يذكركم ...، واستغفروه يغفر لكم ،

وأقم الصلاة ...

رسالة(*)



عُنْوَانُ التَّوْفِيق في آدَابِ الطَّرِيق

وهو شرح لقصيدة العارف بالله تعالى سيدي أبي مدين الغوث
للعارف بالله تعالى
تاج الدين بن عطاء الله السكندري
نفعنا الله بهما
آمين .

(*) راقني هذا الكتاب على صغر حجمه؛ لما فيه من معارف جمة يحتاج إليها العارف والواصل والسالك؛ ولذلك آثرت أن أنقله برمته ليعم به النفع ، وخاصة أنه غير متداول بالمكتبات الآن لندرته.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ العارف القدوة المحقق ، تاج العارفين. ، ولسان المتكلمين ، إمام وقته ، ووحيد عصره ، تاج الدين أبو الفضل ، أحمد بن محمد بن عبدالكريم بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين....

الحمد لله .

المنفرد بالخلق والتدبير . الواحد في الحكم والتقدير . الملك الذي ليس له في ملكه وزير ، الملك الذي لا يخرج عـــن ملكـــه صغير ولا كبير. المتقدس في كمال وصفه عن الشبيه و النظير . المنزّه في كمال ذاته عن التمثيل والتصوير . العليم الذي لا يخفى عليه ما في الضمير ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير. العالم الذي أحاط علمه بمبادئ الأمور ونهاياتها . السميع الذي لا فضل في سمعه بين ظاهر الأصوات وخفيّاتها. الرازق وهو المنعم علـــى الخليقة بإيصال أقواتها . القيوم المتكفل بها في جميـــع حالاتهـــا . الوهاب وهو الذي منّ على النفوس بوجود حياتها. القدير وهـــو المعيد لها بعد وجود وفاتها. الحسيب وهو المجازي لها يوم قدومها عليه بحسناتها وسيئاتها.

فسبحانه من إله ؛ منّ على العباد بالجود قبل الوجود. وقام بهم بأرزاقهم على كلتى حالاتهم من إقرار وجحود. ومدّ كل موجود بوجود عطاءه. وحفظ وجود العالم بإمداد بقائه. وظهر بحكمته على أرضه وقدرته في سمائه. ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبد مفوِّض لقضائه ، مسلّم له في حكمه وإمضائه. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. المفضَّل على جميع أنبيائه ، المخصوص بجزيل فضله وعطائه ، الفاتح الخاتم ، وليس ذلك لسوائه ، الشافع لكل العباد حين يجمعهم الحق لفصل قضائه . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، المستمسكين بولائه ، وسلم تسليماً كثيراً.

اعلم يا أخي !

جعلك الله من أهل حبه ، وأتحفك بوجود قربه ، وأذاقك من شراب أهل وده ، وأمنَّك بدوام وصلته من إعراضه وصده ، ووصلك بعباده الذين خصهم بمراسلاته ، وجبر كسر قلوبهم لّما علموا أنه لا تدركه الأبصار لنور تجلياته ، وفتح لهم رياض القرب ، وهب منها على قلوبهم واردات نفحاته ، أشهدهم سابق تدبيره فيهم ؛ فسلموا إليه القياد ، وكشف عن خفي لطفه في منعه ؛ فتركوا المنازعة والعناد ، فهم مستسلمون إليه ومتوكلون عليه .

أما بعد... فقد قال ﷺ :

يحشر المرء على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل .

فإذا علمت أيها الأخ الشقيق : فلا تخالل إلا من ينهضك حاله ، ويدلك على الله مقاله . وذلك هو الفقير المتجرد عن السوى ، المقبل على المولى . فليست اللذة إلا مخاللته ، ولا السعادة إلا خدمته ومصاحبته . فلذلك قال الشيخ العارف المتمكن أبو مدين رضي الله عنه :

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا
هم السلاطين والسادات والأمرا

أي ما لذة عيش السالك في طريق مولاه ، إلا صحبة الفقرا – والفقراء جمع فقير – والفقير هو المتجرد عن الخلائق ، المعرض عن العوائق ، لم يبق له قبلة ولا مقصد إلا الله تعالى ، وقد أعرض عن كل شيء سواه ، وتحقق بحقيقة لا إله إلا الله محمد رسول الله . فمثل هذا مصاحبته تذيقك لذة الطريق ، وتريق في جميع فؤادك من شراب القوم أهنى رحيق ، ويعرِّفك الطريق ، ويقطع لك العتاب ، ويزيل عن قلبك التعويق ، وينهضك بهمته ، ويرفعك إلى أعلى الدرجات . ومن كان كذلك ؛ فهو السلطان على الحقيقة ، والسيد على أهل الطريقة ، والأمير على أهل البصيرة . فلا تخالف أيها السالك طريقه ؛ فاجتهد أيها السالك

الجد في تحصيل هذا الرفيق ، واصحبه وتأدب في مجالسه ، يزيـــل عنك ببركة صحبته كل تعويق ، كما قال رضي الله تعالى عنه :

فاصحبهم وتأدب فـــــي مجالســــــهم
وخلِّ حظـــــك مهمــــا قدموك ورا

أي اصحب الفقراء ، وتأدب معهم في مجالستهم ؛ فـــإن الصحبة شبح والأدب روحها ، فإذا اجتمع لك بـــين الـــشبح والروح ؛ حزت فائدة صحبته ، وإلا كانت صحبتك ميتـــة ! ؛ فأي فائدة ترجوها من الميت ..!!.

ومن أهم أدب الصحبة :

أن تخلّف حظوظك وراك ، ولا تكن همتك مـــصروفة إلا لامتثال أوامرهم ؛ فعند ذلك يشكر مسعاك . فإذا تخلقت بذلك فبادر ، واستغنم الحضور ، وأخلص في ذلك ؛ ترفع درجتـــك ، وتعلو همتك . والحضور كما قال رضي الله عنه :

واستغنم الوقـــــت واحضر دائماً معهـــــم
واعلـــــم بأن الرضا يختص مـــــن حضرا

أي واستغنم وقت صحبة الفقرا ، واحضر دائمـــاً معهـــم بقلبك ، وقالبك ؛ تسري إليك زوائدهم ، وتغمرك فوائـــدهم ، وينضح ظاهرك بالتأدب بآدابهم ، ويـــشرق باطنـــك بـــالتحلي

بأنوارهم . فإن من جالس جانس ؛ فإن جلست مـــع المحـــزون حزنت ، وإن جلست مع المسرور سررت ، وإن جلست مـــع الغافلين سرت إليك الغفلة ، وإن جلست مع الذاكرين انتبهت من غفلتك ، وسرت إليك اليقظة ، فـــإنهم القـــوم لا يـــشقى جليسهم ؛ فكيف يشقى خادمهم ، ومحبهم ، وأنيسهم .

وما أحسن ما قيل :

لي سادةٌ من عزِّهم ... أقدامهم فوق الجبـــــاه
إن لم أكن منهم فلي ... في حبهم عزٌّ وجـــــاه

واعلم أن هذا الرضا ، وهذا المقام ، يخصُّ من حضر معهم بالتأدب ، وخرج عن نفسه ، وتحلى بالذلة والإنكسار . فأخرج عنك إذا حضرت بين أيديهم ، وانطرح ، وانكسر ، إذا حللت بناديهم ؛ فعند ذلك تذوق لذة الحضور . واستعن علـــى ذلـــك بملازمة الصمت ؛ تشرق لك أنوار الفرح ، ويغمرك الـــسرور . كما قال رضي الله عنه :

ولازم الصمت إلا إن سئلـــــت فقـــــل
لا علـــــم عندي وكن بالجهل مســـــتترا

الصمت عند أهل الطريقة ؛ من لازمه ارتفع بنيانـــه ، وتم غراسه ، وهو نوعان : صمت باللسان ، وصمت بالجنـــــان ،

وكلاهما لا بد منه في الطريق . فمن صمت قلبه ، ونطق لسانه ؛ نطق بالحكمة . ومن صمت لسانه ، وصمت قلبه ؛ تجلى له سره، وكلمه ربه ، وهذا غاية الصمت ، وكلام الشيخ قابل لذلك .

فالزم الصمت أيها السالك ، إلا إن سئلت . فإن سئلت ؛ فارجع إلى أصلك ووصلك ، وقل لا علـــم عنـــدي ، واســـتتر بالجهل ؛ تشرق لك أنوار العلم اللدني . فانك مهما اعترفـــت بجهلك ، ورجعت إلى أصلك ؛ لاحت لك معرفة نفسك . فإذا عرفتها ؛ عرفت ربك ، كما روى في الحديث : " مـــن عـــرف نفسه ؛ عرف ربه " . وكل ذلك من فوائد الـــصمت ، ولـــزوم آدابه . فاصمت ، وتأدب ، ولازم الباب ؛ تكن من أحبابه .

وما احسن ما قيل:

لا أبرح البـــــاب حتى تصلحوا عوجـــــي
وتقبـــــلوني عـــــلى عيبي ونقصاني
فإن رضيتـــــم فيا عزِّي ويا شرفـــــــي
وإن أبيتـــم فمن أرجـــو لعصياني

فانهض أيها الأخ إلى باب مولاك بهمـــة عليـــة ، وتحقـــق بعبوديتك ؛ تشرق عليك أنواره السنية ، كما أشـــار إلى ذلـــك الشيخ رضي الله عنه بقوله :

ولا تـــرى العيب إلا فيـــك معتقداً

عيبـــاً بدا بيّناً لكنه اســـــترا

أي تحقق بأوصافك من فقرك ، وضـــعفك ، وعجـــزك ، وذلّتك . فإذا تحققت بأوصافك ، وشهدت لنفـــسك عيوبـــاً — لكنها مستترة — فعند ذلك تحظى بظهور أوصاف مولاك فيك ، كما قيل : "سبحان من ستر سر الخصوصية في ظهور البشرية ، وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية ، وافهم من هنا ســـر معنى قوله : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ﴾ ؛ ولم يقل برسوله ، ولا بنبيه . أشار إلى ذلك المعنى الرفيع الذي لا يُنـــال إلا مـــن العبودية ، ولذلك قيل :

لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي

فانكسر أيها الأخ ، وانطرح بالطريق ، ولا ترَ لك حـــالاً ولا مقالاً ؛ يزل عنك كل تعويق . واستغفر من كل مـــا يخطـــر بقلبك في عبوديتك ، وقم على قدم الاعتراف ، وانـــصف مـــن نفسك ؛ تبلغ أعلى درجات المنازل ، وتفنى بشريتك .

كما قال — رضي الله تعالى عنه — :

وحط رأســـك واستغفر بلا ســـبب

وقف عـــلى قدم الإنصاف معتـــذراً

أي تواضع وانكسر ، وحط اشرف ما عندك – وهو رأسك – في أخفض ما يكون – وهي الأرض – لتحوز مقام القرب . كما ورد في الحديث : " أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى وهو ساجد " ، لأن قرب العبد بتواضعه ، وانكساره ، وخروجه عن أوصاف بشريته .

واشهد نفسك دائماً مذنباً ، ولو لم يظهر عليك سبب الذنب ، فإن العبد لا يخلو من تقصير .

وقف على قدم الإنصاف من ذنوبك ، خجلاً من سيئاتك وعيوبك . فإن من عامل المخلوق هذه المعاملة ؛ أحبَّه ، ولم يشهد له ذنباً ، وكانت مساويه عنده محاسن . فكيف إذا عامل بهذه المعاملة صاحبه الحقيقي ، الذي إذا تحققه ليس له صاحبٌ سواه ، كما ورد في الحديث : " اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل والمال والولد " .

فتأهب أيها الأخ لهذه المعاملة مع إخوانك الفقراء ؛ لتصير لك معراجا تتوصل بها إلى معاملة رب السماء ، وتكون مقبولا عند الخلق والخالق ، وتصفو لك المعاملة ، وتشرق عليك أنوار الحقائق .

قال رضي الله عنه :

وإن بـــدا منـــك عيب فاعتذر وأقم
وجه اعتــذارك عمَّــا فيك منك جرى
وقــل عبيدكمـــو أولى بصفحكمـــو
فســامحوا وخذوا بالرفـــق يا فقـــرا
هـــم بالتفضّـــل أولى وهو شيمتهـــم
فـــلا تخـــف دركـــا منهـــم ولا ضررا

أي ليكن شأنك دائماً التواضع ، والانكسار ، وطلب المعذرة والاستغفار ، سواء وقع منك ذنب ، أولم يقع . وإن بدا منك عيب ، أو ذنب ، فاعترف واستغفر ، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له . وليس الشأن أن لا تذنب ، إنما الشأن أن لا تصرَّ على الذنب ، كما ورد : " أنين المذنبين عند الله ، خيرٌ من زجل المسبحين " عجباً وافتخارا .

ولذلك قلتُ في الحكم : ربما فتح لك باب الطاعة ، وما فتح لك باب القبول وقضى عليك بالذنب ؛ وكان سببا للوصول . معصيةٌ أورثت ذلا وانكسارا ، خيرٌ من طاعة أورثت عزاً واستكباراً . ومع اعترافك ، واستغفارك ، أقم وجه اعتذارك عما جرى منك ؛ فيكون ذلك ممحي للذنب، وادخل في القبول . وذِل ، وتواضع ، وانكسر ، وقل عبيدكم أولى بصفحكم ، لأن العبد ليس له إلا باب مولاه .

وما احسن ما قيل :

ألقيت في بابكم عنانــــي ... ولم أبالِ بما عنانــــــــي
فزال قبضي وزاد بسطي ... وانقلبَ الخوف بالأمانِ

فسامحوا عُبيْدَكم يا فقرا ، وخذوا بالرفق ، وعاملوني به ، فإني عبد فقير ، لا يصلحني إلا المعاملة بـــالرفق والفـــضل ، ولا اعتماد لي إلا على الفضل ، لا بحولي ، ولا قـــوتي ،... مـــذهبي العجز ، والسلام .

ثم قال رضي الله عنه :

إنهم أولى بهذا الشيء – وهـــو شـــيمتهم – ولم يزالـــوا متفضلين ، وهذه معاملتهم مع أصحابهم – وهـــي ســـجيتهم . وكيف لا تكون سجيتهم ، وهم متخلقون بـــأخلاق مـــولاهم ، كما ورد : " تخلقوا بأخلاق الله " .

فلا تخف منهم ضرراً أيها السالك المصاحب لهم ، وتمسك بأذيالهم ، فإنهم القوم لا يشقى جليسهم .

فإذا عرفت ذلك أيها السالك : فتخلق بأخلاقهم الكريمة ، وجُـــد بالتفتّي على الإخوان ، وغض الطرف عن عثرهم ؛ تكن آخذا من أوصافهم أحسن هيئة .

قال رضي الله عنه:

وبالتفتِّي علـــــى الإخوان جد أبــــــدا
حســـــاً ومعنىً وغض الطــــــرف إن عثرا

أي وتكرم على إخوانك ، وجد عليهم أبداً ، بما في الحس فببذل الأموال ، وأما في المعنى فبصرف همة الأحوال . ولا تبخل عليهم بشيء يمكنك إيصاله إليهم ، فإن السماحة لب الطريق ، ومن تخلق بها ؛ فقد زال عن قلبه كل تعويق .

قال الشيخ عبدالقادر – رضي الله عنه :

إخواني ،... ما وصلت إلى الله تعالى بقيام ليل ، ولا صيام نهار ، ولا دراسة علـــم ، ولكــــن وصــــلت إلى الله بـــالكرم ، والتواضع ، وسلامة الصدر .

فدل كلام الشيخ – رضي الله عنـــه – أن الكـــرم هـــو الأساس ، وأن التواضع يتم للسالك به الغراس .

فإذا تم له هذان الأمران ؛ سلم صدره من العلائق ، وزال عن طريقه كل عائق .

ولذلك ورد في الحديث : " إن في الجنة لغرفـــاً ، يـــرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله تعالى لمـــن

ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وتابع الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام " .

فتأمل هذا الحديث يا أخي ، حيث بدأ ﷺ بإلانة الكلام : وهو إشارة إلى التواضع ، ثم ثنى بإطعام الطعام : وهو إشارة إلى الكرم ، ثم أتى بعد ذلك بالصلاة والصيام ، كما أشار إليه الشيخ عبدالقادر .

فانهض أخي إلى هذه المآثر وبادر .واجمع معها حسن مكارم الأخلاق .

وغضّ الطرف عن مساوئ الإخوان – إن وقفت منهم على عثرة – ولا تشهد إلا محاسنهم ، كما قال – رضي الله عنه – في حكمه الفتوحية : " رؤية محاسن العبيد ، والغيبة عن مساويهم ؛ ذلك شيء من كمال التوحيد " .كما قيل:

إذا ما رأيت الله في الكل فاعلاً ... رأيت جميع الكائنات ملاحاً

فإذا تخلقت أيها الأخ بهذه الخصال الشريفة ، فقد تأهلت للإقبال على الشيخ ؛ فانهض إلى عتبة بابه ، وراقبه بهمَّة منيفة .

كما أشار إلى ذلك الشيخ – رضي الله عنه – بقوله :

وراقـــب الشيخ في أحواله فعـــسى
يرى عليك مـــن استحســانه أثرا

أي إذا تخلقت بما تقدم من الآداب ، ووصلت بافتقـارك وانكسارك إلى الشيخ ، وتمسكت بأثر تلك الأعتاب ، فراقـب أحواله ، واجتهد في حصول مراضيه ، وانكسر ، واخضع له في كل حين ؛ فإنه الترياق والشفا ، وإن قلوب المـشايخ تريـاق الطريق . ومن سعد بذلك ؛ تم له المطلوب ، وتخلص من كـل تعويق .

واجتهد أيها الأخ في مشاهدة هذا المعنى ، فعـسى يـرى عليك من استحسانه لحالك أثرا .

قال بعضهم :

" من أشد الحرمان ، أن تجتمع مع أوليـاء الله تعـالى ولا ترزق القبول منهم ، وما ذلك إلا لسوء الأدب منك ، وإلا فلا بخلٌ من جانبهم ، ولا نقصٌ من جهتهم " . كما قلت في الحكم : ما الشأن وجود الطلب ، إنما الشأن أن تورث حسن الأدب.

زار بعض السلاطين ضريح أبي يزيد – رضي الله عنـه – وقال : هل هنا أحد ممن اجتمع بأبي يزيد ؟

فأشير إلى شيخ كبير في السن – كان حاضـــراً هنـــاك – فقال له :
هل سمعت شيئاً من كلامه ؟ فقال :
نعم ..!.. قال : " من زارني لا تحرقه النار " .
فاستغرب السلطان ذلك الكلام !.. ؛ فقال :
كيف يقول أبو يزيد ذلك ، وأبو جهل رأى النبي ﷺ وهو تحرقه النار ، فقال ذلك الشيخ للسلطان :
أبو جهل لم يرَ النبي ﷺ ، إنما رأى يتيم أبي طالب ، ولو رآه ﷺ ..!..لم تحرقه النار...

ففهم السلطان كلامه ، وأعجبه هذا الجواب منه ، أي أنه لم يره بالتعظيم والإكرام واعتقاد أنه رسول الله ، ولو رآه بهـــذا المعنى ؛ لم تحرقه النار . ولكنه رآه باحتقار واعتقاد أنه يتـــيم أبي طالب ؛ فلم تنفعه تلك الرؤية .

وأنت يا أخي ! لو اجتمعت بقطب الوقت ، ولم تتأدب ؛ لم تنفعك تلك الرؤية ! ؛.... بل كانت مضرتها عليك أكثر مـــن منفعتها !.

إذا فهمت ذلك أيها السالك :

فتأدب بين يدي الشيخ ، واجتهـد أن تـسلك أحـسن المسالك ، وخذ ما عرفت بجد واجتهاد ، وانهـض في خدمتـه ، وأخلص في ذلك ؛ لتسد مع من ساد . كما قال :

وقـدّم الجـد وانهـض عند خدمتـه
عسـاه يرضى وحـاذر أن تكـن ضجرا

ففي رضـاه رضـى البـارى وطاعـته
يرضـى عليـك فكن من تركه حـذرا

أي وانهض في خدمة الشيخ بالجد فعساك تحوز رضـاه ؛ فتسود مع من ساد . واحذر أن تضجر ، ففي الضجر الفساد ، ولازم أعتاب بابه في الصباح والمساء ، لتحوز منه الوداد .

وما أحسن ما قيل:

اصبر علـى مضض الإدلاج في السَّـحَر
وللنذور علـى الطـاعات بالبكـر
وقل من جـدَّ في أمـر يؤمِّلُـه
ما استصـحب الصبر إلا فـاز بالظفر

فإن ظفرت أيها السالك برضاه ؛ رضي الله تعالى عنـك ، ونلت فوق ما تمنيت .

فاستقم أيها الأخ في رضى شيخك ، وطاعته ؛ تظفر بطاعة مولاك ورضاه ، وتفوز بجزيل كرامته .

فعض أيها الأخ بالنواجذ على خدمة الشيخ ، إن ظفـــرت بالوصول إليه ، واعلم أن السعادة قد شملتك من جميع جهاتـــك إذا عرفك الله تعالى به ، وأطلعك تعالى عليه ، فإن الظفر بـــه لا سيما في هذه الأيام أعز من الكبريت الأحمر . واعلم أن طريـــق القوم دارسة ، وحال من يدعيها كيف ترى ، لكن إذا ساعدتك العناية ؛ ظفرت ، وشممت من نفحة طيبه ما يفوق المسك الأذفر. ولذلك قال – رضي الله تعالى عنه وعنَّا به – آمين:

واعلـــم بأن طريق القوم دارســـة
وحـــال من يدعيها اليـــوم كيف ترى
متى أراهـــم وأنى لي برؤيتهـــم
أو تســـمع الأذن مني عنهم خبـــرا
من لي وأنى لمثـــلي أن يزاحمهـــم
عـــلى موارد لم آلف بهـــا كـــدرا
أحبـــهم وأداريهـــم وأوثرهـــم
بمهـــجتي وخصـــوصاً منهم نفـــرا

شرع الشيخ رضي الله عنه يشوِّق السالكين إلى طريق أهله ويخبرهم أن طريقهم دارسةٌ ، وحال من يدعيها اليوم كما ترى

في الفترة ؛ حتى كادت الهمم أن تكون من الطلب آيسة .

وهكذا شأن طريق القوم لعزتها ، كأنها في كل عصر مفقودة ، ولا يظفر بها إلا الفرد بعد الفرد ، وهذه سنة معهودة . وذلك أن الجوهر النفيس لا يزال عزيز الوجود ، يكاد لعزته يُحْكَم بأنه ليس بموجود ، والطريق أهلها مخفيُّون في العالم خفاء ليلة القدر في شهر رمضان ، وخفاء ساعة الجمعة في يومها ؛ حتى يجتهد الطالب في طلبه بقدر الإمكان ، فإن من جدَّ وجد ، ومن قرع الباب ولج .

قلتُ بعد أن ذكر " لا بد من الشيخ في الطريق " – على سبيل السؤال والجواب – كيف تأمرنا بذلك ! وقد قيل " إن وجود الشيخ كالكبريت الأحمر ! وكالعنقاء ! من ذا الذي بوجودها يظفر ! "..كيف تأمرني بتحصيل من هذا شأنه ؟

فقال : لو صدقتَ في الطلب ! وكنتَ في طلبه كالطفل والظمآن ! لا يقر لهم قرار ! ولا تسكن لوعتهم حتى يظفروا بمقصودهم ! .

فأشار الشيخ – رضي الله تعالى عنه – إلى أن الشيخ موجود ، وكيف لا يكون موجودا، وعمارة العالم إنما هي بأمثاله. فإن العَالم شخصٌ ، والأولياء روحه ، فما دام العَالم موجودا ؛

لا بد من وجودهم . لكن لشدة خفائهم ، وعـــدم ظهـــورهم ؛ حكم بفقدانهم .

فاجتهد أيها الأخ ، واصدق في الطلب ؛ تجد المطلــوب.
واستعن على ذلك الطلب بمدد علام الغيوب .
فإن الظفر لا يحصل إلا بمجرد فضله. وإذا أوصلك للشيخ ؛ فقد أوصلك إليه، كما قلت في الحكم : " سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل إليهم إلا مـــن أراد أن يوصله إليه " .

ثم إن الشيخ – رضى الله عنه – لما ذكر عـــزَّة الطريـــق وفقدان أهلها ؛ شرع يتأسف على الاجتماع بهـــم ، ويتمنـــاه ، ويستبعد من نفسه حصول ذلك ، والتشرف بلقائه – تواضـــعاً منه وانكساراً ، وهضماً لنفسه واحتقاراً– ، ولذا قال بعد ذلك : من لي وأنَّى لمثلي أن يزاحمهم.. إلخ ، وهذا شأن العارف لنفسه بنفسه ، الممتلي بمعرفة ربه ، المتحلي بواردات قدسه ؛ لأنـــه لا يرى لنفسه حالاً ولا مقالاً ، بل يرى نفسه أقل من كل شـــيء ، وهذا هو النظر التام ، كما قيل:

إذا زاد علم المرء زاد تواضعـــاً...وإذا زاد جهل المرء زاد ترفُّعاً
وفي الغصن من حمل الثمار مثالُه...فإنه يَعزُّ عن حمْل الثمار تمنُعـــاً

فانظر إلى الشيخ أبي مدين ورفعته في الطريق ، مع أنه وصل من تربيته اثني عشر ألف مريد ، وانظر إلى هذا التنزل منه والتدلي بأغصان شجرة معرفته ، إلى أرض الخضوع والانكسار حتى أنه لم ير نفسه أهلاً للاجتماع بأهل هذه الطريقة ، ويزيده هذا الانخفاض من الارتفاع ؛ لأن الشجرة لا يزيدها انخفاضها في عروقها إلا ارتفاعا في رأسها . فتواضع أيها الأخ في الطريق ، وخذ هذا الأصل العظيم من هذا العارف المتمكن ؛ يزل عنك كل تعويق .

ثم قال – رضي الله تعالى عنه – بعد ذلك : " أحبهم .... الخ " ، أي : وإن لم أكن أنا منهم ، فإني أحبهم ، ومن احب قوماً فهو منهم ، كما ورد في الحديث : " المرء مع من أحب " ، وكما قيل :

أحب الصالحين ولستُ منهم....لعلى أن أنالَ بهم شفاعة
وأكره من كانت بضَاعته المعاصي....وإن كنا سواء في البضاعة

وهذا أيضاً منه – رضي الله تعالى عنه – من تمام التنزل السابق ، وتكميلاً وتتميماً ؛ ولهذا تواضع الذي لم يلحق جواد شرفه في ميدانه لاحق . نفعنا الله تعالى ببركاته ، ووفنا من معاملاته ، لأن هذه خصال القوم وصفاقم ؛ ولذلك ارتفعت

رتبهم ، وجزلت عطيتهم ، كما وصفهم – رضى الله تعالى عنـــه – بقوله :

قوم كـــــرام السجايا حيث ما جلســـــوا
يبـــــقى المكان على آثارهم عطـــــرا
يهـــــدى التصوف من أخلاقهم طـــــرقا
حســـــن التألف منهـــــم راقني نظرا
هم أهـــــل ودي وأحبابي الذين هـــــم
ممـــــن يجر ذيـــــول العز مفتخـــــرا
لا زال شملـــــي بهـــــم في الله مجتمعـــــا
وذنبنـــــا فيه مغفـــــورا ومغتفـــــرا
ثم الصـــــلاة على المختـــــار سيدنا
محمـــــد خير من أوفى ومن نـــــذرا

أي قوم سجاياهم كريمة، وهمتهم عظيمة ، حيثما جلسوا ؛ تبقى آثار نفحات عطرهم في المكان ظاهرة ، وأينما توجهـــوا ؛ تسطع شمس معارفهم ؛ فتشرق القلوب ، وتصلح بهـــم الـــدنيا والآخرة . يهدي التصوف للسالك المشتاق من أخلاقهم طرقـــا مجيدة ، تدل على الطريق ، ويسير في سلوكه ســـيرة حميـــدة . فلذلك جمعوا أحسن تأليف ؛ حتى راق كل نـــاظر ، وجـــد وفي أكمل معنى لطيف ؛ حتى اكتحلت بكحل أثمدهم أنوار البصائر .

ولذلك قال الشيخ – رضي الله تعالى عنه – بعد ذلك : " هم أهل ودي وأحبابي ..الخ " ، فإن الشخص لا يحب إلا من جانسه ، ولا يود إلا من كان بينه وبينه مؤانسة ، وفي هذا الكلام إشارة إلى أنه – رضي الله تعالى عنه – من جملتهم ، وطينته من طينتهم ، وما تقدم منه في التواضع والانكسار ؛ دليل على التحقيق في هذا المجد والفخار ، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ؛ فنسأل الله تعالى أن يسلك بنا أحسن المسالك .

ثم دعا وسأل ، أنه لا يزال شمله مجتمعا بهم في الله تعالى ، وذنبه مغفورا .

ونحن نسأله أيضاً ، إتمام الصلاة والسلام على سيدنا محمد المختار ، خير من أوفى ، ومن نذر ، ومن أكرم الجار، وعلى آله وصحبه السادة الأبرار ، والتابعين ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم القرار.

وهذا الرَقْم ، لمن تعطش ليله في معاني هذه الأبيات ، وإلا فنحن معترفون بالعجز والتقصير عن معانيها ، وانما الأعمال بالنيات ، والله أعلم.



**هذه القصيدة لشيخ الشيوخ أبي مدين ،
أعاد الله علينا من بركات علومه ..آمين
والتخميس – للقصيدة المذكورة – لسيدي الشيخ
محيي الدين بن العربي ، قدّس الله سره**

يا طالبـــــا من لَـــذَاذات الـــدنا وطرا
إذا أردت جميـــعَ الخير فـــيك يـُــرى
المستشــــار أمينٌ فاسمــــعْ الخبــــرا
ما لـــذةُ العيش إلا صحبةُ الفقــــرا
هـــمُ السلاطين والساداتُ والأمــرا

قـــومٌ رضُـــوا بيسيرٍ من ملابسهـــم
والقـــوتِ لا تخطرِ الدنيا بهاجســـــهم
صـــدورهم خالياتٌ من وساوسهـــــم
فاصحبهمـــوا وتأدبْ في مجالسهم
وخلِ حظـــك مهما قدَّموك ورا

أُســلُك طريقهمـــوا إن كنت تابعَهـــم

واترك دواعيـــك واحذرْ أن تراجعهـــم
فيمـــا يريدونه واقصُـــدْ منافعَـــهـــم
واستغنـــمِ الوقتَ واحضر دائماً معهـــم
واعلـــم بأن الرضى يختصُّ مِنْ حَضَرا

كن راضيـــاً بهمو تسمـــو بهم وتصـــل
إن أثبتـــوك أقـــم أوإن مَحَـــوْكَ فَـــزل
وإن أجـــاعوك فجع أو أطعمـــوك فكـــل
ولازم الصـــمت إلا إن سئلت فقـــل
لا علـــم عندي وكن بالجهل مســـتترا

ولا تكن لعيـــوب النـــاس منتقدا
وإن يكـــن ظاهرا بين الوجـــود بدا
وانظـــر بعين كمـــال لا تعب أحدا
ولا ترى العيـــب إلا فيك معتقـــدا
عيبـــا بدا بينـــاً لكنه اســـتترا

تنـــل بذلك ما ترجـــوه من إرب
والنفـــس ذلل لهـــم ذلا بلا ريب
بل كـــل ذلك ذل نـــاب عن أدب
وحـــط رأسك واســـتغفر بلا سبب

وقـــم على قدم الانصاف معتـــذرا

إن شئت منهـــم بريقا للطـــريق تشـــم
عن كـــل ما يكرهوه من فعـــالك دم
والنفـــس منك على حسن الســـؤال أدم
وإن بـــدا منـــك عيب فاعـــترف وأقم
وجـــه اعتذارك عما فيـــك منـــك جرى

لهم تمـــلق وقـــل داووا بصلحكـــم
بمـــرهم العفو منكـــم داء جرحكم
أنا المســـيء هبو لي محـــض نصحكـــم
وقـــل عبيـــدكم أولى بصفحـــكم
فســـامحوا وخـــذوا بالرفق يا فقـــرا

لا تخـــشى منهم إذا أذنبـــت همتهـــم
أســـنى وأعظـــم أن ترديك عشرهم
ليســـو جبـــابرة تؤذيك سطوتـــهم
هـــم بالتفضل أولى وهو شيمتهـــم
فلا تخف دركـــا منهـــم ولا ضـــررا

إذا أردت بهـــم تسلك طـــريق هدى
كـــن في الذي يطلبوه منـــك مجتهدا

في نور يومـــــك واحذر أن تقول غـــدا
وبالتفـــتي عـــــلى الإخـــوان جـــد أبدا
حســـــا ومعنا وغض الطــــرف إن عثرا

أصدقهـــــم الحق لا تستعمل الدنســـــا
لأنهـــم أهل صدق ســـــادة رؤســـا
واسمـــــح لكل امرئ منهم إليــــــك أسا
وراقـــــب الشيخ في أحواله فعســــــى
يــــــرى عليك من استحســــــانه أثرا

واسألــــــه دعـــــوته تحظ بدعوتــــــــه
تنـــــل بذلك ما ترجــــو ببركتــــه
وحســــــن الظن واعرف حق حــــــرمته
وقــــــدم الجـــــد وانهض عند خدمته
عســــــاه يرضى وحاذر أن تكن ضجرا

واحــــــفظ وصيته زد من رعايتـــــــــه
ولبَّــــه إن دعــــــا فورا لساعتــــــــــه
وغض صوتك بالنجــــوى لطاعتــــــه
ففي رضـــــاه رضـــى الباري وطاعتــــــه
يرضــــــى عليــــك فكن من تركها حذرا

والزم بمـــــن نفســه نفــــس مسايســة
في ذا الزمـــان فإن النفـــس آيسة
منهـــم وحرفتهـــم في النـــاس باخســـة
واعلـــم بأن طريق القـــوم دارسة
وحال من يدعيـــها اليـــوم كيف ترى

يحـــق لي إن نـــأوا عنى لألفتهــــم
ألازم الحـــزن ممـــا بي لفرقتهـــم
عـــلى انقطاعي عنهـــم بعد صحبتهـــم
متى أراهـــم وأنى لي برؤيتهــــم
أو تســـمع الأذن مني عنهم خـــبرا

تخلفـــي مـــانعي مـــن أن ألائمهـــم
منهـــم أتيت فلمني لســـت لائمهـــم
يـــا رب هب لي صـــلاحا كي أنادمهم
مـــن لي وأنى لمثـــلي أن يزاحمهم
عـــلى مـــوارد لم ألف بها كـــدرا

جلت عن الوصـــف أن تحصى مـــآثرهم
عـــلى البواطن قد دلت ظواهـــرهم
بطـــاعة الله في الدنيـــا مفاخرهـــم

أحبـــهم وأداريهـــم وآثرهـــم
بمهجـــتي وخصوصـــا منهم نفرا

قـــوم على الخلق بالطاعات قد رؤســـوا
منهـــم جليسهـــم الآداب يقتبسوا
ومن تخلـــف عنهـــم حظـــه التعـــس
قـــوم كرام السجايا حيثما جلســـوا
يبقـــى المكـــان على آثارهم عطـــرا

فهِـــمْ بهـــم لا تفارقـــهم تزد شـــغفا
وإن تخلفت عنهـــم فانتحب أسفـــــا
عصـــابة بهـــم يكســـى الفتي شـــرفا
يهـــدي التصوف من أخلاقهـــم طرقا
حســـن التألف منهـــم راقني نظـــرا

جررت ذيـــل افتخاري في الهوى بهـــم
لمـــا رضوني عبيـــداً في الهـــوى لـــهم
وحقهـــم في هواهـــم لست أنسهـــم
هـــم أهل ودي وأحبـــابي الذين هـــم
ممـــن يـــجر ذيـــول العز مفتخـــرا

قطعـــت في النظـــم قلبي في الهوى قطعاً

وقد توسلت للمولى بهم طمعا
أن يغفر الله لي وللمسلمين معاً
لا زال شملي بهم في الله مجتمعا
وذنبنا فيه مغفورا ومغتفرا

يا كلَّ من ضمَّه النادى بمجلسنا
أدعو الإله بهم يمحو الذنوب لنا
و أدعو لمن خمّس الأصل الذى حسنَ
ثمّ الصلاة على المختار سيدنا
محمَّدٍ خير من أوفى ومن نظر

****

تمت

رسالة

﴿عنوان التوفيق في آداب الطريق﴾

للعارف بالله تعالى تاج الدين بن عطاء الله السكندري

****

المؤلف فى سطور

فَــوْزِى مُحَمَّــد أَبُوزَيــد

۞ تاريخ ومحل الميلاد :

١٨/١٠/١٩٤٨م ، الجميزة – مركز السنطة – محافظة الغربية

۞ المؤهل :

ليسانس كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٧٠م .

۞ العمل :

مـــدير عام بمديرية طنطا التعليمية .

۞ النشاط :

يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية ، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى : ١١٤ ، شارع ١٠٥ ، حدائق المعادى بالقاهرة ، ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.

يتجول فى جميع أنحاء الجمهورية ؛ لنشر الدعوة الإسلامية ، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية ، بالحكمة والموعظة الحسنة .

بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة المجد الإســـلامى ، والتسجيلات الصوتية و الوسائط المتعددة (الملتيميديا) للمحاضرات و الدروس و اللقاءات ، على الشرائط و الأقراص المدمجة .

وأيضا من خلال موقعه على شبكة المعلومـــــات الدولـــية (الإنترنت): **WWW.Fawzyabuzeid.com**

دعـــوته :

يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين ، والعمل على جمع الصف الإسلامى ، وإحياء روح الإخوة الإسلامية ، والتخلص من الأحقاد ، والأحساد ، والأثرة ، والأنانية ، وغيرها من أمراض النفس.

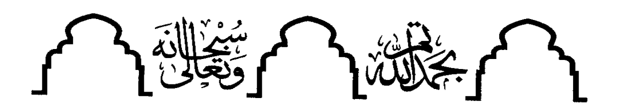
يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحية الصافية ، بعد تهذيب نفوسهم ، وتصفية قلوبهم .

يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين ، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن ، وعمل رسول الله ﷺ ، وأصحابه الكرام .

هدفه :

إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية ، ونشر الأخلاق الإسلامية ، وترسيخ المبادئ القرآنية .

فهرس



تم بحمد الله
سبحانه وتعالى